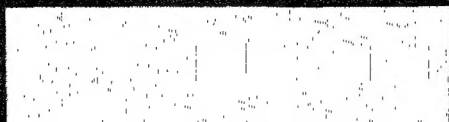




شاعر الشعب شاعر النيل

دكتور يوسف نوفل



الناشر : الدار المصرية اللبنانية

١٦ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

رقم الإيداع : ٩٧ / ٤٧٩٦

التقييم الدولي : 2 - 343 - 270 - 977

جمع وطبع : مربية الطباعة والنشر

العنوان : ٧ - ١٠ شارع السلام - أرض اللواء - المهندسين

تليفون : ٣٠٣٦٠٩٨ - ٣٠٣١٠٤٣

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : محرم ١٤١٨ هـ - مايو ١٩٩٧ م .

حافظ ابراهيم

حافظ إبراهيم

شاعر الشعب وشاعر النيل

دكتور يوسف نوفل

المنشور

لقد لمصر رتبة اللبنة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية



المحتويات

١١	هذه السلسلة وهؤلاء الشعراء
١٧	شاعر الشعب وشاعر النيل
١٧	مولود على ضفاف النيل
١٧	حافظ في القاهرة
١٨	حافظ في طنطا
١٩	حب الطبيعة
٢٠	حافظ إبراهيم المحامي
٢٠	تحمله الشدائد والشكوى
٢١	حافظ إبراهيم في السودان
٢٣	حافظ مع عظماء عصره ومشهوريه
٢٣	هو والإمام محمد عبده
٢٤	هو والزعيم سعد زغلول
٢٥	رثاء الأستاذ الإمام محمد عبده
٢٦	مع قاسم أمين
٢٧	مع البارودي
٢٧	رثاء محمود سامي البارودي
٢٨	مع لطفى السيد ومصطفى كامل
٢٩	في حفل عكاظ
٣١	فكاهاته ومداعباته
٣٢	دعابته مع الشيخ تقي الدين

٣٢	دعابته مع المراهوى
٣٤	دعابته مع الببلاوى
٣٤	مداعباته مع أحمد شوقى
٣٦	ثقافته
٣٧	شاعر الشعب
٣٨	وطنية حافظ
٣٩	حادثة دنشواى
٣٩	قصيدة : مصر تتحدث عن نفسها
٤٢	تحية العام المجرى
٤٣	مزج الوطنية بالناحية الإسلامية
٤٤	الرثاء
٤٥	فى رثاء مصطفى كامل
٤٧	رثاء محمد فريد
٤٩	رثاء باحثة البادية
٥١	فى رثاء الشيخ على يوسف
٥٦	عمر وببعة أبى بكر
٥٧	اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها
٥٩	مدرسة البنات ببورسعيد
٥٩	الشكوى فى شعره
٦٠	شعره المسرحى
٦٣	تقدير الأدباء له
٦٤	المراجع

هذه السلسلة وهؤلاء الشعراء

الشعر ديوان العرب . . وسجل حياتهم . .

والشعراء هم أصحاب الرأي والتعبير على مرّ العصور . .

ومن مظاهر تقدير العرب للشعراء أن القبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الأخرى فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن المزاهر - كما يصنعون في الأفراح - لأن الشاعر كان لسان القبيلة ، وهو الذى يمثل الحماية لأعراض الناس ، وهو المدافع عن أحسابهم ، والمُفاخر بآثرهم . . والمُمجّد لذكورهم .

وكان العرب لا يهتنون إلا بغلام يُؤلّد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنج . . !

وقد أجمع دارسو الأدب العربى على أن الشعر يمثل جوهر الثقافة العربية ، حتى أن أية دراسة عن الشعر العربى يمكن أن تكون دراسة عن الثقافة العربية والوجدان العربى معاً .

وقد اعتاد المؤرخون أن يقسموا عصور الأدب العربى إلى مراحل متتالية . . وربما اعتمد هذا التقسيم على النظرة السياسية . . أو التغيّر السياسى - داخل المجتمع ، مما يؤثر ويتفاعل مع تطور الشعر وأساليب تعبيره . .

- فالعصر الجاهلى مثلاً يبدأ قبل ظهور الإسلام بنحو مائة وخمسين سنة ، وينتهى بظهور الدعوة الإسلامية . .

- ويبدأ العصر الإسلامي منذ ظهور الدعوة . . وينتهي بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين . . وظهور الدولة الأموية سنة ٤١ هـ .

- ويبدأ العصر الأموي منذ ولاية معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هـ حتى قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ .

- أما العصر العباسي الأول يبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ حتى قيام دولة بني بويه عام ٢٣٤ هـ .

- ويبدأ العصر العباسي الثاني منذ قيام دولة بني بويه حتى هجوم المغول على بغداد سنة ٦٥٦ هـ وانقسام الدولة العربية الكبرى إلى دول صغرى وإمارات شرقاً وغرباً .

- ثم يبدأ عصر النهضة الحديثة منذ قيام دولة محمد علي حتى وقتنا الراهن . .

وهو تقسيم لا نظن أنه يخضع لحدود قاطعة فاصلة لكل عصر تبدأ وتنتهي بقيام دولة وسقوط أخرى . . ولا نظن أيضاً أن الأدب يمكن أن يغير جلده هكذا بين يوم وليلة - كما تتغير الظروف السياسية - وإنما يعني هذا التقسيم أن ملامح الأدب في عصر ما تستكمل مقوماتها في ظل ظروف سياسية واجتماعية معينة ، وتحفت بعض من ملامح أو يضاف إليه ملامح أخرى في عصر تالي . . وهكذا ١١

ولابد أن الشعراء الذين أخلصوا لفنهم كانت لهم مواقفهم المتباينة في ظلال هذه العصور المتتالية ، فلم يكن ذكرهم خافتاً ، ولا لونهم باهتاً ، ولا صوته ضائعاً في زحام التحولات السياسية المختلفة ، ومن ثن تنوع ولاؤهم ، وتميزت أساليبهم ، وتعددت مذاقاتهم ورؤاؤهم وتجاربهم ، متجاوزوا سَمَتَ العصر ، واخترقوا حاجزَ الزمن ، ليصلوا إلينا شاخخين قادرين معبرين عن جوهر الإحساس الإنساني ، على حين أسول الزمن على مَنْ لم

يمتلك هذه القدرة عباءته السوداء ، خطواهم في جُبِّ النسيان ، لأنهم لم يفلحوا في التعبير عن عصرهم ، ولا استطاعوا أن يصلوا إلينا كما وصل غيرهم .

ولا شك أن القارئ المعاصر - في زحام الحياة الضاغطة المهمومة - في حاجة ملحة إلى الاقتراب من عالم الشعر - قديمه ومعاصره - في أبرز نماذج ، وأفضل شعرائه ، وتنوع مذاقاته ، واختلاف بيئاته ، لكي يقف على عظمة هذا الفن العربى الذى تقدّم كلُّ شىء ، وأحرز سبق على غيره من الفنون العربية .

ونعتقد أن هذه العظمة هى جزء من عظمة التاريخ العربى والحضارة العربية . . وهى أيضاً بطاقة عبور صادقة إلى كل ما هو ساطع وناصع في السماء العربية ، تتحدى الغيم ، وعُصفَ الريح ، واعتداء الساخطين على مقدرات هذه الأمة العريقة .

ولأن الشاعر شاهد على عصره ، فقد أولينا هذا المعنى اهتماماتنا واختياراتنا ، فوقفنا في باب كل عصر نظرقه ، ونستخلص منه كنوزه الشعرية التى تمثله خير تمثيل .

وآثرنا في خطتنا أكثر من عنصر يكمل دائرة الفائدة . . أهمها :

أولاً : أنها سلسلة موجهة للشباب والناشئة . . لهذا فإنها تتخذ منهجاً مختلفاً يبتعد - بقدر الإمكان - عن المناهج الأكاديمية التى قد يعافها ذوق أولادنا .

ويلتزم هذا المنهج تقديم الشاعر من خلال سيرة حياته بأسلوب مبسط يجمع بين الدراما والسرد والنص الشعرى . . يهدف كسر الملل والرتابة . . وتقريب القارئ الشاب إلى عالم الشاعر الإنسانى والفنى معاً . . بحيث يخرج القارئ من الكتاب بمعرفة غير محدودة

بالشاعر وعصره وتجربته الشعرية وأثرها في مسيرة الشعر العربي . .
وكيف نقل الشاعر بحسّه وقدرته مشاعره وأفكاره إلى عصره ومجتمعه
بل إلى عصرنا الراهن في إيجابية وعطاء ممتد متجدد .

ثانياً : أن يكتب عن هؤلاء الشعراء أساتذة وأدباء شعراء ممتازون ، أعلى درجة
عالية من الرغبة الداخلية في هذه المشاركة ، والإيمان العميق بجدوى
هذه الرسالة ، والقدرة على العرض والتبسيط والالتزام بخطة
السلسلة .

ثالثاً : أن تبدأ هذه السلسلة بالشعراء المعاصرين باعتبار أن القارئ
المعاصر قريب إلى حسّ هؤلاء الشعراء وتجاربهم ولغتهم وخيالهم . .
ثم نعود القهقري إلى العصور السابقة ، وقد تسلح القارئ بذخيرة
من الفهم والتذوق تجعله يقحم تلك العصور في شغف وإقبال .

رابعاً : ألا تقتصر هذه السلسلة على تقديم شعراء بعينهم في بيئة بعينها ،
وإنما هي تنظر إلى خريطة الشعر العربي من المحيط إلى الخليج في
وحدة فنية مترابطة ، تحقق للقارئ المعاصر هذا الحسّ العربي
الممتاز الذي لا يدانيه حسّ آخر في أي منطقة من العالم .

.....

ولابد أن المهمة على هذا النحو صعبة ودقيقة . . !
لكننا على يقين أن الإخلاص والإيمان بجدوى ما نُقبل عليه كفيلا
بتذليل كل الصعاب ، وتيسير كل الدروب العسيرة ، وتقدير كل قاص
وبعيد .

ولا نملك في نهاية هذه العجالة إلا أن نشكر من كل قلوبنا كل من
أسهم في إذكاء نار الحماس لإصدار هذه السلسلة الجميلة من الأساتذة
والأدباء والشعراء المشاركين .

كما لا نستطيع أن نغفل ترحيب الصديق الناشر محمد رشاد . . حينما تقدمنا إليه بهذه الفكرة ، وكيف أصر على إخراجها بهذا المنهج الخاص ، الذى نتمنى أن يكون مختلفاً عن أى منهج سابق .

أما الصديق العالم اللغوى المدفق الأستاذ محمد فتحى أبو بكر . . فله من القلب كل الدعاء وكل الشكر على ما يبذله من جهد خلاق متفاني وراء كل كلمة ، وكل جملة ، وكل إضافة جيدة .

ولك أيها القارئ الشاب . . هذا العمل الذى يمثل عصارة قلوب الذين شاركونا بالحب والعطاء . !

والله الموفق ،

أحمد سويلم

مولود على ضفاف النيل :

في صعيد مصر ، وأمام بلدة « ديروط » (١) ، وعلى شاطئ نهر النيل
رسّت سفينة بسكانها ، المقيمين بها ، وهم أسرة المهندس إبراهيم (أفندي)
فهمى ، أحد المهندسين المشرفين على قناطر تلك البلدة .

وذات يوم من أيام عام ١٨٧٢ رَزَقَ الله هذا المهندس الأب ابناً سماًه
« محمد حافظ » ، الذى قُدِّر له بعد ذلك أن يكون « شاعر النيل » ، إذ وُلِدَ
على شاطئه ، وعلى صفحة مياهه وهمسها ، وعلى صدى خريرها
ووشوشتها ، ومع تغريد الطيور المرفرفة ، وأشعة الشمس الزاهية . فرح الأب
والأم ، ومضت الأيام مع الأب المهندس « إبراهيم فهمى » والأم السيدة
« هدى » ، بدون أن ينبجا ابناً آخر غير « حافظ » ، وما إن بلغ الرابعة من
عمره حتى تُوفى أبوه في ديروط ، فانتقلت به أمه إلى القاهرة .

حافظ في القاهرة :

وفي القاهرة بدأ حياة جديدة بعد وفاة أبيه ، وانتقل إلى رعاية خاله الذى
ألحقه بالمدرسة الخيرية بالقلعة (٢) ليتعلم القراءة والكتابة وبعض الحساب ،
ثم بمدرسة ابتدائية ، ثم بمدرسة المتديان ، فالمدرسة الخديوية ، حتى انتقل
مع خاله الذى كان يعمل مهندساً للتنظيم في طنطا .

(١) مركز من مراكز محافظة أسيوط ، تشتهر بزراعة القطن والقصب .

(٢) قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة .

ثم عاد إلى القاهرة مرة أخرى بعد ترك مهنة المحاماة ليلتحق بالمدرسة الحربية .

ولعله بذلك يضع الشاعر محمود سامى البارودى نصب عينيه ، ذلك الشاعر الذى كان صاحب السيف والقلم ، أى جامعاً بين العمل العسكرى والفن الشعرى .

وفى سن العشرين تخرج حافظ فى المدرسة الحربية سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م ، ليعين فيها ، ثم تتعدد وظائفه فى الشرطة بمصر ، وبالسودان . وبعد عودته من السودان وجد نفسه بلا عمل ، حتى عُيِّنَ رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وظل فى هذا العمل قرابة عشرين سنة .

حافظ فى طنطا :

وفى طنطا ، وفى سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٨ م ، وعمره ستة عشر عاماً تقريباً ، يتعرف « حافظ » على أصدقاء يحدثننا عنه ، ويصفه أحدهم بأنه : « غص الإهاب ، جديد الشباب ، به ظُرف ولُطف محاضرة ، وبديهة مطاوعة ، وسرعة خاطر ، وحضور نادرة ، وسعة اطلاع ، وحفظ للشعر » .

كما يتحدث أصدقاؤه عن حفظه الشعر ، حيث كانت تدور بينه وبينهم مطارحات شعرية ومسامرات أدبية وتبادل لنوادى الأدب من جيد الشعر ، مما يكشف عن حفظه الكثير منه ، وعن محاولة التأليف بتقليد ما يحفظ ، وكأنه فى مدرسة شعرية يعلم نفسه ويذريها .

وجد حافظ نفسه لاينتسب لمدرسة ، ولايعمل عملاً ، ف شعر أنه يمثل عبثاً على خاله ، فاتجه إليه ببيتين من شعره الذى يعبر عن بساطة لغته ، وصدق عاطفته ، وشدة ألمه ، وإحساسه باليتم والفقر ، والحزن والألم ، مع تهكم وسخرية ، قال :

ثَقُلْتُ عَلَيْكَ مَثْوِيَّ إِنِّي أَرَاهَا وَاهِيَةً (١)
فَافْرِحْ فَإِنِّي ذَاهِبٌ مَثْوَجَةٌ فِي «دَاهِيَةٍ»
حب الطبيعة :

نحن أمام شاعر مرهف ، وُلد على ضفاف النيل ، فاستنشق - أول ما استنشق - نسائته وهواءه النقي ، ورأى - أول مارأى - جمال الطبيعة وسحرها وسمع أول ماسمع - خزير المياه ، وهمس الموج ، وأهازيج الطيور ومن المتوقع من شاب نشأ في أحضان النيل أن يعجب بجمال الكون والكائنات، فنراه ذات يوم يعجب بالطائر المعروف باسم (اللقلق) ، والمسمَّى بمصر (البشروش) ، كان ذلك في حديقة مدرسة الفرير بطنطا ، ولإعجابه بهذا الطائر أخذ يتأمل حركاته وسكناته ، ففكر في أن يلفت انتباهه بتحريك حلقة باب المدرسة ليستمتع برؤية حركاته المتنوعة ، مما لفت نظر المشرفين على المدرسة وضايقهم ، ودفعهم إلى منعه من ذلك . ومن حبه الطبيعة وصفه بعض مظاهرها . من ذلك قصيدته عن الشمس :

لَا حَ (٢) مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ فَتَسُوا فِي اللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَبِينِ (٣)
وَمَحَتْ آيَتُهَا (٤) آيَتَهُ وَتَبَدَّتْ فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ
نَظَرَ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا نَظْرَةً فَأَرَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينَ (٥)
قَالَ : ذَارِبِي ، فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ : إِنِّي لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٦)

(١) المَثْوَى : القوت والطعام .. واهية : ضعيفة .

(٢) لاح : ظهر .

(٣) وضاح الجبين : القمر .

(٤) دليلها .

(٥) إبراهيم : لغة في إبراهيم ، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام . وبشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في القرآن في سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة) الآية وقوله : « فأرى الشك » الخ ، أى أظهر لقومه أنه شك في الإله لكى يهديهم إليه . وهو متيقن وجوده

(٦) أفلت : غابت .

وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١)
حافظ إبراهيم المحامي :

صاقت بحافظ السبل وهو في طنطا ، وشعر بالحاجة إلى المال بعد أن غادر بيت خاله ، وهنا تنبه إلى ما وهبه الله من طلاقة اللسان ، والقدرة على المحاوره . فاتجه إلى المحاماة ، فعمل محامياً بمكتب بعض المحامين بطنطا ، ثم ملّ هذا العمل الذي يحتاج إلى الدقة بدراسة القضايا وكتابة الوقائع والأحداث وإعداد المرافعات ، فقرر مغادرة طنطا إلى القاهرة ليلتحق بالمدرسة الحربية .

تحمله الشدائد والشكوى :

وقد لمعت في حياته شدائد كثيرة منذ صغره ، فقد مات والده وهو صغير ، كما نشأ فقيراً ، إذ لم يترك له أبوه مالاً ، فعاش معدماً ، كما أنه لم يوفق في عمله ، وزادت رهافة حسه وقوة شعوره من إحساسه ، مما جعله شاكياً دائماً كما يبدو من شعره .

من ذلك قصيدته في غلاء الأسعار :

أَيُّهَا الْمُضْلِحُونَ ضَاقَ بِنَا الْعَيْدُ شُسْ وَلَمْ تُحْسِنُوا عَلَيْهِ الْقِيَامَ
عَزَّتْ (٢) السَّلْعَةُ الدَّلِيلَةُ حَتَّى بَاتَ مَسْحُ الْحِذَاءِ خَطْباً جُسَامَا (٣)
وَعَدَا الْقُرْتُ فِي يَدِ النَّاسِ كَالِيَا قُوتٍ حَتَّى نَوَى الْفَقِيرُ الصِّيَابَا
يَقْطَعُ الْيَوْمَ طَاوِيَا وَلَدَيْهِ دُونَ رِيحِ الْقَتَارِ رِيحُ الْخَزَامِي (٤)

(١) السلطان : الحجة .

(٢) عَزَّتْ قُلْتُ .

(٣) السلعة : المتاع المتجر فيه . والخطب الجسام : العظيم .

(٤) طاويا جائعا . والقنار (بالضم) : ريح الشواء . والخزامي : نوع من الرياحين ، وزهره من أطيب الأزهار نفحة . يقول : إن ريح ذلك الزهر أقل شأنا عنده من ريح الشواء لحاجته إلى الثاني دون الأول

وقوله ينقد بعض تصرفات الناس في عصره :

حَطَمْتُ اليراعَ فلا تَعَجَّبِي وعَفْتُ الْيَّانَ فلا تَعْتَبِي (١)

حافظ إبراهيم في السودان :

عمل حافظ في السودان الشرقى ، لكنه سرعان ماضاق بالإقامة هناك ، وأخذ يرسل شكاواه إلى أصدقائه ويعبر عن حنينه إليهم ، وبخاصة الإمام محمد عبده ، وزاد من ذلك كراهية اللورد الإنجليزى « كيتشنر » (٢) له ، وخلافه مع رئيس له ، مما جعله يهجوهم هو وأصحابه قائلاً :

تراه إذ ينفخُ في السمِزمار تحسبه في رُثبة السردار (٣)
يحتنبُ العاقِل والنَّيِّبُها ويعشقُ الجاهل والسَّفِيها

وقد أفاد من خبرته بالمحامة ، وأفاد فيها في السودان حين قام بالدفاع عن زملائه الضباط ، ثم عاد إلى مصر بعد أن تشوق إليها :

فَمَنْ لِي أَنْ أرى تلك المغاني (٤) ومافيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا (٥) وتحت برائن (٦) الخطب الجسيم (٧)

(١) اليراع : القلم . . عَفْتُ : فاكهت : البيان : الأدب .

(٢) هو اللورد هربرت كيتشنر (١٨٥٠ - ١٩١٦) ، وهو مارشال إنجليزى فتح أم درمان بالسودان ، وكان

وزير الحرية (١٩١٤ - ١٩١٦) .

(٣) رتبة عسكرية إنجليزية .

(٤) يقصد الأماكن الجميلة بمصر .

(٥) المنايا : جمع منية : الموت .

(٦) مخالب .

(٧) المشكلة الصعبة .

هو والإمام محمد عبده :

قويت صلة حافظ إبراهيم بالإمام الشيخ محمد عبده الذى كان من أبرز زعماء الوطنية والإصلاح ، فكان كلما شعر بحزن أو ضيق وهو فى السودان يكتب إليه ويراسله .

ولما عاد من السودان وجد سلواه فى مجلس الأستاذ الإمام ، وفى ندوته التى كانت تتم فى بيته فى عين شمس فى إحدى ضواحي القاهرة آنذاك ، حيث كان يذهب إليه ، وينشده شعره ، كما كان يتلقى عطف الأستاذ عليه ، واهتمامه به ، ويأخذ عنه العلم ، ولم تقتصر مجالسه على الشيخ الإمام فقط ، بل شملت غيره .

أما علاقته بالشيخ محمد عبده فنرى فى شعره الكثير مما يعبر عنها ، يقول له مستعظفاً :

لقد بت محسوداً عليك لأننى فتاك وهل غير المنعم يُحسدُ
فلا تبليغ الحساد منى شائعة ففعلك محمود وأنت محمدُ

لقد كان حريصاً على حضور بعض دروس الإمام فى منزله بضاحية عين شمس ، وقد يصحبه فى أسفاره ، وحين مات الإمام رثاه فى أكثر من قصيدة ومنها قوله :

سلامٌ على الإسلام بعد محمد سلامٌ على أيامِهِ النَّصْرَاتِ
فوا كهفى والقبر بينى وبينه على نظرة من تلكم النظرات

هو والزعيم سعد زغلول :

ومن الذين اتصل بهم حافظ وجلس في مجالسهم الزعيم الوطنى سعد
زغلول ، وحين تعرض سعد زغلول لحادث اعتداء قال حافظ :

أَحْمَدُ اللّٰهَ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ قَدْ رَمَاهَا فِي قَلْبِهَا مَنْ رَمَاكَ
أَحْمَدُ اللّٰهَ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ لَيْسَ فِيهَا لِيَوْمٍ جِدُّ سِوَاكَ
أَحْمَدُ اللّٰهَ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ وَوَقَاهَا^(١) بِلُطْفِهِ مَنْ وَقَاكَ
قَدْ شَغِلْنَا يَا سَعْدُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَشَغِلْنَا بِأَنْ يَتِمَّ شِفَاكَ

وقال عنه في قصيدة أخرى مطلعها :

الشعبُ يدعُو الله يا زغلول أَنْ يَسْتَقِلَّ^(٢) عَلَى يَدَيْكَ النِيلُ
ويتحدث عن شجاعته :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا سنريه كيف يصيده زغلول^(٣)
وطه حسين ، حيث قال له متحدثاً عن دوره في التعليم الجامعى :
وَأَخْصَبَتْ أَرْجَاءُ مَصْرِ بِمَنْ صَيَّرَ مَضْرًا كُلَّهَا جَامِعَهُ
وهو يهنيء الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء :

لئن ظفر الإفتاء منك بفاضل لقد ظفر الإسلام منك بأفضل
ولما مات الإمام رئاه حافظ بقصيدة مطوّلة نشرت في ٢٢ / ٨ / ١٩٠٥ م :

(١) وقاها : حفظها .

(٢) يستقل : يتحرر من الاستعمار الإنجليزي .

(٣) يقابل بين النسر وزغلول الخيام في مقابلة متصورة مع اسم سعد زغلول

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّصْرَاتِ (١)
 عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا، عَلَى الْعِلْمِ وَالْحَيَا (٢) عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، عَلَى الْحَسَنَاتِ
 لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَادَى الْمَوْتِ قَبْلَهُ فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
 فَوَاهَكُنِي - وَالْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - عَلَى نَظَرَةٍ مِنْ تِلْكَمُ النَّظَرَاتِ (٣)
 وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعاً كَأَنِّي حِيَالَ الْقَبْرِ فِي عَرَافَاتِ (٤)
 لَقَدْ جَهِلُوا قَدَرَ الْإِمَامِ فَأَوْدَعُوا تَجَالِيدُهُ فِي مُوحِشِ بَقْلَةٍ (٥)
 وَلَوْ ضَرَحُوا بِالْمَسْجِدِينَ لَأَنْزَلُوا بِخَيْرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ خَيْرَ رُقَاتِ (٦)
 تَبَارَكْتَ هَذَا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ أَيْتَرُكَ فِي الدُّنْيَا بَغْيَرِ حُمَاةٍ ؟
 تَبَارَكْتَ هَذَا عَالَمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى وَلَا بَتْ قَنَاةُ الدِّينِ لِلْعَمَزَاتِ (٧)
 زَرَعْتَ لَنَا زَرْعاً فَأَخْرَجَ شَطْأَهُ وَبَنَتْ وَلَمَّا نَجْتَنِ الثَّمَرَاتِ (٨)
 فَوَاهَا لَهُ أَلَّا يُصِيبَ مُوَفَّقَا يُشَارِفُهُ وَالْأَرْضُ غَيْرُ مَوَاتِ (٩)

(١) النصرات : ذوات الحسن والرويق .

(٢) الحجا : العقل .

(٣) والهفى : كلمة يتحسر بها على ما فات .

(٤) حاسر الرأس : عاربه . وحيال القبر : تلقاه وأمامه .

(٥) تجاليد الإنسان : جسمه وبدنه . والقلة : الصحراء الواسعة .

(٦) ضرح الميت : حفر له ضريحاً . ويريد « بالمسجدين » : المسجد الحرام بمكة ؛ وبيت المقدس ورفات الميت : ما بلى وتكرس من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا بأحد المسجدين ضريحاً لهذا الجسم لكان حرياً بذلك ؛ لأنه خير جسم يدفن في خير بقعة من الأرض .

(٧) قضى مات . والقناة : الرمح . ولين القناة : كناية عن الضعف والوهن . ويريد « بالعمزات » : المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

(٨) شطء الزرع : فراخه أو سنبله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيه من أنواع الإصلاح . وبنت : بنتت .

(٩) الضمير في « له » يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجديبة التي لا تنبت . يخشى ألا يجد الزرع من يتعهد به بعد الفقيه مع خصوبة الأرض وقبورها لما يغرس فيها .

مَدَدْنَا إِلَى الْأَعْلَامِ بَعْدَكَ رَاخَنَا
وَجَالَتْ بَنَا تَبَغَى نِسْوَاكَ عُيُونُنَا
وَأَذَوَكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَنْكَرُوا
رَأَيْتَ الْأَذَى فِي جَانِبِ اللَّهِ لَذَّةٌ
لَقَدْ كُنْتَ فِيهِمْ كَوَكْبًا فِي غِيَابِهِ
أَبْنَتْ لَنَا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وَحِكْمَةً
وَوَفَّقْتَ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْحِجَا
وَوَفَّقْتَ (لَهَا نُوتُو) وَ (رَيْنَانَ) وَفَقَّةً
مَعَ قَاسِمِ أَمِينٍ :

ومن الذين اتصل بهم حافظ وجالسهم قاسم أمين ، الذي رثاه بقوله :

لِلَّهِ دَرْكٌ كُنْتَ مِنْ رَجُلٍ
خُلِقَ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ إِذَا
لَوْ أَهْمَلْتِكَ غَوَائِلَ الْأَجْلِ (٧)
أَسْحَرْنَ غَبَّ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ (٨)

(١) يريد «بالأعلام» : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ؛ وهى الكف . والأعطاف :
الخواصر . وصفقات : أى خاليات . -

(٢) شروعات : أى محمرات من البكاء ، تبغى : تريد ، وآثرن : فضلن .

(٣) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التى كان يواجهها أعداء الفقيد إليه ؛ وينشرونها فى بعض
الصحف تشهيراً به ؛ وتحقيراً من شأنه .

(٤) الغياب : الظلمات جمع غيب ، نكرات : غير معروفة وغير مشهورة .

(٥) يشير بهذا البيت إلى الدروس التى كان يلقيها الأستاذ الإمام فى تفسير القرآن .

(٦) هانوتو : جبرائيل هانوتو السياسى المؤرخ الفرنسى . ولد فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م . وقد كتب
مقالات فى الطعن على الإسلام . وريان : هو أرنست رينان الفرنسى ؛ ولد فى ١٧ نوفمبر سنة

١٨٢٣ م ؛ وقد كان قساً كاثوليكياً ؛ وهو مشهور بمطاعنه فى الدين الإسلامى كصاحبه السابق ؛
وقدره الفقيد على مطاعنها . وتوفى رينان فى سنة ١٨٩٢ . والروح : جبريل .

(٧) الغوائل : الدواعى المهلكة والمفرد غائلة ، ولله درك : دعاء بالخير والبركة ، الأجل : النهاية .

(٨) أسحرن : وقت السحر ، العارض : السحاب المعترض . الهطل المتابع .

وشمائل لو أنها مُزَجَّتْ
مع البارودي :

وقد كان في عصره من كبار الشعراء « البارودي » وقد قال فيه :
أمير القوافي إن لي مستهامةً بمدح ومن لي فيك أن أبلغ المدى .
ولما مات البارودي نشر حافظ رثاءه في ٢٢ / ١ / ١٩٠٥ قائلاً :

رثاء محمود سامي البارودي، باشا :

رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ (محمود) إِنِّي عَيْتٌ وَأَعْيَا الشَّعْرُ مَجْهُودِي (٢)
مَالِ الْبَلَاغَةِ غَضْبِي ؟ لَا تُطَاوَعْنِي وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ تَمْدُودِ ؟
ظَنَنْتُ سَكُوتِي صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِهِ فَأَسْلَمْتَنِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْهِيدِ (٣)
وَلَوْ دَرَيْتُ أَنَّ هَذَا الْخَطْبَ أَفْحَمَنِي لَا طَلَقْتُ مِنْ لِسَانِي كُلَّ مَعْقُودِ (٤)
لَيْتَكَ يَا مُؤَنِّسَ الْمَوْتَى وَمُوحِّشَنَا يَافَارِسَ الشَّعْرِ وَالْهِجَاءِ وَالْجُودِ (٥)
مُلْكُ الْقُلُوبِ - وَأَنْتَ الْمُسْتَقْبَلُ بِهِ - أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابن داود) (٦)
لَقَدْ نَزَحْتَ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا نَزَحْتَ عَنْهَا لِيَا لَيْكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُودِ (٧)
أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَوْجُودِ (٨)
لَيْتَكَ يَا شَاعِرًا ضَنَّ الزَّمَانُ بِهِ عَلَى النَّهْيِ وَالْقَوَافِي وَالْأَنَاشِيدِ (٩)

- (١) أي : لم تتحول ولم تتغير ، أي أن صفاته ثابتة غير متقلبة .
(٢) ردوا على بياني ؛ أي أعيدوه إلي بعد أن بعد عني من هول المصاب . وعي : كل وتعب .
(٣) أي ظننت البلاغة سكوتي عن رثاء الفقيد إعراضاً عن مودته وتناسياً لصحبته فتركتني أعذب بالهم والسهر .
(٤) أفحمة : أسكته وعقد لسانه - الخطب : المشكلة - معقود : عاجز عن الكلام .
(٥) الهيجاء : الحرب - الجود : الكرم .
(٦) يريد «بابن داود» : نبي الله سليمان عليه السلام ، وبه يُضرب المثل في سعة الملك .
(٧) نزحت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودي بالعرز والجاء ؛ وأخرى شقى فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنهي .
(٨) يشير بقوله : «أغمضت عينيك» إلى أن الفقيد كان كُفَّ بصره في آخر حياته فعاش ضعيفاً . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها . ولم تحفل . لم تبال .
(٩) النهي : العقول ؛ الواحدئية (بالضم) .

مع لطفى السيد ومصطفى كامل :

ومن الذين اتصل بهم حافظ الزعيم مصطفى كامل ، وأحمد لطفى السيد ، وهذه قصيدة وجهها إلى أحمد لطفى حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤ م :

يا كاسى الأخلاق فى	بلد عن الأخلاق عارى
لم يبقَ فينا من يُجَا	دلٌ فى مقامك أو يُمارى (١)
بالأمس قد علّمنا	أدبَ الكتّابة والحُوار (٢)
واليوم قد أَلْفَفْتَنَا	بالطّيّبات من الثّمار (٣)
بكتاب رَسْطاليسَ تا	ج نَوادر الفَلَكِ المُدار (٤)
جاهذت فى تفصيله	وَوَصَلْتَ لَيْلَكَ بالنّهار
تَزِنُ الكلام كأنه	ماسٌ يميزان التّجار
وتُصَوِّنُ معنى رَبّه	صَوْنُ اللَّالىء فى المَحَار (٥)
وتُضِنُّ دُهْقَانَ الكَلا	مِ كَضْنِ دُهْقان النّضار (٦)
حتّى حَسَبْتُكَ فى الأنبا	ة والاختبار والاختيار
صَنَعًا يُصَوِّرُ فى الفُصُو	ص لَدَى الفَراغة الكبار (٧)

(١) يمارى : ينازع ، ومقامك : منزلتك .

(٢) يشير بهذا البيت إلى عهد الممدوح فى رئاسته تحرير « الجريدة » وما كان يكتبه فيها من مقالات .

(٣) أَلْفَفْتَنَا بكذا : أَمَحَفْتُهُ بِهِ .

(٤) ناج نواذر الفلك : أى أثنى نواذر الزمن وأنفسها .

(٥) ربه : أى مؤلفه أرسطوطاليس .

(٦) دهقان الكلام (بالنصب) ، على النداء أى يادهقان . والدهقان (بكسر الدال وتضم) : التاجر .

والنضار : الذهب .

(٧) الصنع (بالتحريك) : الحاذق بالصنعة ؛ وشبهه بالمصوّر فى الفصوص لما فى ذلك من مراعاة الدقة ،

والفراغة جمع فروعون

لقد اتصل حافظ بمجالس الأدباء والعظماء في عصره ، يسمع منهم أحاديثهم ، ودروسهم ، وتجاربهم ، ويستمعهم شعره وأدبه ، ويحاولون أن يكون في مكانه اللائق به في المجتمع ، حتى نال رتبة الباكوية من الدرجة الثانية ، ونال نيشان النيل من الدرجة الرابعة .

وكان يفوق «شوقي» في الإلقاء ، حيث كان يؤثر في مستمعيه بنبرات صوته وروعة إلقائه ، وتأثيره في عواطف المستمعين إليه ، وساعدته ألفاظه ومعانيه ، حيث كان حريصاً على حُسن اختيارها وانتقائها ، بل كان يتغنى بالبيت قبل أن يُدخله في قصيدته ، أما «شوقي» فقد كان شاعراً عظيماً ، لكنه لا يجيد الإلقاء .

ويذكرون أن طلبة المدارس الثانوية والعالية كانوا فريقين ، أحدهما يتحمس لحافظ ، والآخر لشوقي ، أما الذين فضّلوا «حافظاً» فقد فضّلوه لأن شعره : «غذاء القلب ، وغذاء الوطنية» وأما الذين فضّلوا «شوقياً» ففضّلوه لما في شعره من فنّ وخيال ، وقد كتب طه حسين كتاباً سماه «حافظ وشوقي» موازناً بينهما .

في حفل عكاظ :

وقد أنشد حافظ إبراهيم هذه القصيدة في حفل من الأدباء والشعراء برئاسة أحمد شوقي بك بدار التمثيل العربي لتحية جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وقد سمى صاحب الجريدة هذا الحفل « سوق عكاظ » . وهى تتضمن مدحاً لشوقي بك رئيس الحفل ، ونعياً على المصريين امتهانهم بلحث ملوكهم الأقدمين :

أَتَيْتُ سُوقَ عُكَاظٍ
أَزْجَى إِلَيْهِ قَوَافٍ
لَيْسَتْ بِذَاتِ رُوءٍ
وَلَا بِذَاتِ جَمَالٍ
لَمْ يَحِبُّهَا فَضْلُ شَوْقِي
فَهَنْ قَفَرُ خَوَالٍ
وَهَنْ جُهْدُ مَقْلٍ
قَالَ الْبَرِيئُ وَمَنْ ذَا
سَقَى الْحُضُورَ شَرَاباً
مُعْتَقاً قَبْلَ عَادٍ
تَذَكَّى الدِّيارُ مِنْهُ
يُرِيكَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ
بَنَاتُ أَفْكَارِ شَوْقِي
تُرْهِى بِمَعْنَى سَرَى
وَلَيْلَةٌ مِنْ «عُكَاظٍ»

أَسْعَى بِأَمْرِ الرَّئِيسِ
مُنْكَسَّاتِ الرُّءُوسِ (١)
تُرْهِى بِهِ فِي الطُّرُوسِ (٢)
يَسْرِى بِهَا فِي النُّفُوسِ
بَقِيَّةً مِنْ نَسِيسِ (٣)
مَنْ كُلَّ مَعْنَى نَفِيسِ (٤)
حَلِيفَ هَمْ وَبُوسِ (٥)
يَقُولُ بَعْدَ الرَّئِيسِ
يُنْسَى شَرَابُ الْقُسُوسِ (٦)
فِي مُظْلِمَاتِ الْحُبُوسِ (٧)
نَاراً كَنَارِ الْمَجُوسِ (٨)
شُمُوسِهِ فِي الْكُتُوسِ (٩)
فِي جَلْوَةِ كَالْعَرُوسِ
أَتَى بِمَعْنَى شَمُوسِ (١٠)
صَمَّتْ حُمَاةَ الْوُطَيْسِ (١١)

- (١) أزجى : أسوق .
(٢) الرُوء : حسن المنظر . والطُروس : الصحف يكتب فيها ، الواحد : طرس .
(٣) النسييس : بقية الروح ، يحبها : يمنحها .
(٤) قفر : خاليات ، ونفيس : عظيم .
(٥) بوس : أى يؤس .
(٦) يريد « بشراب القسوس » : الخمر ، وذلك لما اشتهر به القساوسة والرهبان من ادخار الخمر وتعتيقها في الأديار .
(٧) عاد : قوم في العصور القديمة . الحبوس : جمع حبس .
(٨) تذكى : تشعل . ونار المجوس : النار التي يعبدونها ؛ ويضرب بها المثل في قوة الاشتعال ودوامه . وقد شبه بها الخمر في الحمرة ، حتى كأنها تلتهب .
(٩) داج : مظلم .
(١٠) السرى : الرفيع . . والشُموس : النُفُور الصعب المتألم .
(١١) الوطيس : الحرب . ويريد « بحماة الوطيس » حملة الأقاليم .

فكاهاته ومداعباته :

ومن قوة معاناته وحزنه نبعت سخريته وتهكمه مما حوله ، وميله للنكتة والنادرة ، فكان يُلقى الفكاهة ويخترع النكتة ناقدًا ماحوله ، ساخرًا منه ، بشكل يُضحك مَنْ حوله ، ويجعله معجباً به . يقول في رجل ضخم البطن والجسم :

عَظَلْتُ فَرْقَ الْكَهْرِبَاءِ فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً يَعَوْقُ مَسِيرَهَا إِلَّا كَا
تَسْرِي عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ (١) لَحْظَةً فَتَجْوِبُهَا (٢) وَتَحَارُ فِي أَحْشَاكَ (٣)

وقد كانت له مع بعض شعراء جيله وأدباء عصره مجالس أدبية وفكاهية في المقاهى والمنتديات ، فكان يجلس مع الشاعر خليل مطران وعبد العزيز البشري ، وإمام العبد ، وكان محمد البابلي من أكثر أصدقائه ملازمة له ، كما كان مشهوراً بفكاهته الحلوة .

وفي تلك المجالس كانت تدور الفكاهة وتبادل الطرائف والنوادر ، وقراءة الأدب والاستماع إليه .

وكان يتقبل نقد شعره إذا كان الناقد منقرداً به ، أما إذا كان هذا النقد منشوراً أو معلناً فإنه يغضب ويحتج ، لأنه حريص على منزلته الأدبية .

اشتهر حافظ بخفة دمه ، وميله للمداعبات ، ولم تقتصر هذه الصفة عليه وحده ، بل كان كثير من أصدقائه وشعراء عصره يشاركونه هذه الصفة ، وبهذا نجد في شعره وأشعارهم نوادر وطرائف ومواقف تبعث على الضحك والسرور .

(١) الأرض .

(٢) تتحرك فيها وتتجول .

(٣) في أحشائك .

دعابته مع الشيخ أمين تقي الدين :

من ذلك أن الأديب السورى الشيخ أمين تقي الدين رُزق مولوداً سماه «حافظاً» وقال فيه :

لى ولدٌ بِسميَّته حافظاً . تَكِيْمُنَا (١) بحافظِ الشاعر
فقال حافظ :

كحافظ إبراهيم لَكِنَّهُ
فلَعَنَهُ اللّٰه على « حافظِ »
أَجْمَلُ خَلْقاً (٢) مِنْهُ فى الظّاهر
إن لم يَكُنْ بالشاعرِ الماهر
فقال الشيخ أمين :

واخجلتني إن لم يَجِئْ شاعراً
شعر نظمناه ولولا الذى
يُنسى أباه حكمةَ النّاثِر (٣)
رُزِقْتُهُ مامراً بالخاطر
فقال حافظ :

فيا وليدى كن غداً شاعراً
فالدنّب ذنبى وأنا المعتدى
وابدأ بهجو الوالد الأمر
هل يسلم الشاعر من شاعر
دعابته مع الهراوى :

وحدث مرة أن غاب « حافظ » عن أصحابه وظل فى بيته ، فذهب صديقه الشاعر محمد الهراوى ليزوره ، ولما وجده على غير عادته ، قال له

(١) تفاولا .

(٢) شكلاً .

(٣) كاتب الشر .

مرتجلاً (١) :

يارئيس الشعر قل لى
أنت فى الجيزة خاف
قابع (٢) فى كسريت
زاهد فى كل شىء
أين شعر منك نضر
وحديث منك حل
وفكاهات عذاب
قد جفوت (٦) الشعر حتى
وهجرت الناس حتى
ما الذى يقضى الرئيس ؟
مثلاً تخفى الشمس
قد أظلمت الغروس (٣)
طريق ساء عبوس (٤)
فلنا فيه ميس (٥)
يتمناه الجلس ؟
تتمناها النفوس
حدثت عنك الطروس (٧)
ساء لولا ابن الأيس ؟

فأجابه حافظ على الفور :

أنا فى الجيزة ثاو (٨)
أنكر الأئس مكانى
ليست يدري من رانى
ليس لى فيها أنيس
ولأى (٩) عنى الجليس
أطليق أم حبس

(١) بسرعة وبدون تفكير .

(٢) قابع : جالس .

(٣) جمع غرس وهى الأشجار .

(٤) ساء : أفسد . عبوس : أى عبوس الوجه .

(٥) ميس : بقية .

(٦) كرهت .

(٧) الكتب والأوراق

(٨) مقيم .

(٩) بعد .

دعابته مع الببلاوى :

وهذه دعابة كتب بها إلى السيد محمد الببلاوى نقيب الأشراف فى عصره لما
ولى نقابة الأشراف سنة ١٩٢٠ :

قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا فَضِيلَتُهُ فَذَاذَنَا عَنْهُ حُرَّاسٌ وَحُجَّابٌ (٢)
قَدْ كَانَ بِأَبْكَ مَفْتُوحًا لِقَاصِدِهِ وَالْيَوْمَ أَوْصَدُ دُونَ الْقَاصِدِ الْبَابُ (٣)
هَلَّا ذَكَرْتَ (بِدَارِ الْكُتُبِ) صُحْبَتَنَا إِذْ نَحْنُ رَغْمُ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَحْبَابُ (٤)
لَا تَحْشُ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا إِنِّى شَرِيفٌ وَلِلْأَشْرَافِ أَحْسَابُ (٥)
فَاهْنَأْ بِهَا نِلْتُ مِنْ فَضْلِ وَإِنْ قُطِعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ

مداعباته مع أمير الشعراء أحمد شوقى :

ومن فكاهاته ، وخفة دمه ، وسرعة بديهته ، وميله إلى مداعبة
الأصدقاء ، ما كان بينه وبين أمير الشعراء - أحمد شوقى - فقد جرى بينهما
مزاح بالشعر ، على عادة الشعراء آنذاك ، فقال حافظ إبراهيم لشوقى :
يَقُولُونَ : إِنَّ الشُّوقَ نَارٌ وَلَبْوَةٌ

فَمَا بَالُ شَوْقِي أَصْبَحَ الْيَوْمَ بَارِدًا

(٢) ذاذنا : منعنا ، حجاب : جمع حاجب .

(٣) أوصد الباب : أغلق .

(٤) صروف الدهر : نوائبه ؛ يشير إلى أن السيد محمد الببلاوى كان هو والشاعر يعملان معا فى دار الكتب
المصرية .

(٥) يشير بقوله « إِنِّى شَرِيفٌ » إلى الحكم الشرعى المعروف من أن الصَّدَقة لا تهبوز على الأشراف . يريد
بالأسباب : روابط المودة .

فحافظ إبراهيم يستغل « التورية » ، وهى احتمال اللفظ لمعنيين ، أحدهما قريب غير مقصود ، والآخر بعيد مقصود ، فشوقى لها معنى قريب هو : الاشتياق والشوق ، ومعنى بعيد ، وهو اسم أحمد شوقى ، وهو المقصود للمداعبة .

وهنا رَدَّ عليه أحمد شوقى بالطريقة نفسها قائلاً :

وَحَمَلْنَا إِنْسَانًا وَكَلَبًا أَمَانَةً فَضَبِعَها الْإِنْسَانُ وَالْكَلْبُ « حافظُ »

فحافظ لها معنى قريب غير مقصود ، وهو المحافظة ، على الشئء ومعنى. بعيد هو اسم حافظ إبراهيم ، وهو المقصود للمداعبة بين الشاعرين ، وإن كانت قاسية فى بيت شوقى .

وإن كنت تلاحظ أن عبارات حافظ إبراهيم فى المداعبة أخفت أثراً ، وأقرب إلى المداعبة منها إلى الهجاء ؛ إذ دارت الصفة حول معنى البرودة أو البرود ، أى برود الطبع ، فى حين دارت الصفة الثانية حول معنى الأمانة ، واقتضى ذكر الأمانة ذكر أشهر الحيوانات تمسكاً بها ، وهو الكلب ، فانتقل البيت - فى رأى - من المداعبة والمفاكهة إلى الهجاء اللاذع ، أو على الأقل : المداعبة الثقيلة التى تذكرنا بذلك الأعرابى الذى أتى للمدينة من البادية لأول مرة ، وأراد أن يمدح ممدوحه ، فاعتمد على ذوق الصحراء ، فوصفه بصفات أهمها الوفاء ، والقوة المتمثلان فى حيوانين ، هما : الكلب والتمسك ، قال :

أَنْتَ كَالْكَلْبِ فِي الْوَفَا عَوَالِ التَّمْسِكِ فِي قِرَاعِ الْخُطُوبِ (١)

ووسط دهشة الحاضرين واستنكارهم فهم الممدوح مراده ، فأعطاه فرصة الإقامة فى المدينة المتحضرة ، ومدحه بعد ذلك فجاء مديحه جميلاً ، حضرياً . وعلى أية حال فالموقف بين حافظ وشوقى لا يتعدى المداعبة الأخوية .

(١) قراع الخطوب : مواجهة المشاكل .

ثقافته :

كانت دراسة حافظ إبراهيم في «الكتاب» والمدرسة الابتدائية ، والدراسة الفنية في المدرسة الحربية ، ولم يقتصر على ذلك بل أخذ يقرأ الكتب الأدبية ومن بينها كتاب (الأغاني) للأصفهاني ، ودواوين الشعراء ، وأخذ يختار من أشعار الشعراء ما يحلو له من شعرهم ، ونتيجة لذلك حفظ كثيراً منه ، وأخذ يُسمع مجالسيه ، وذلك لما كان يتمتع به من ذاكرة قوية .

ولم يقتصر على اللغة العربية ، فدرس اللغة الفرنسية وقرأ في آدابها ، وأخذ يترجم عن اللغة الفرنسية ، فترجم قصة «البؤساء» للشاعر الفرنسي «فيكتور هوجو» وغيرها ، وفيه يقول :

أعجمي ^(١) كاذ يعلو نجمه	في سماء الشعرِ نجمَ العبري
صافحَ العلياء ^(٢) فيها والتقى	بالمعري ^(٣) فوق هام ^(٤) الشهب ^(٥)
قلت عن نفسك قولاً صادقاً	لم تشبه ^(٦) شائبات ^(٧) الكذب
أنا كما لمنجم ^(٨) تَبَرَّ ^(٩) وثرى ^(١٠)	فاطرحوا ثُرْبِي ^(١١) وصونوا ذَهَبِي

ولثقته الشديدة في شاعريته بين هؤلاء المعاصرين قال سنة ١٩٠١ :

- (١) أجنبي . .
- (٢) المنزلة العالية .
- (٣) شاعر عربي .
- (٤) رأس .
- (٥) النجوم .
- (٦) لم تذكره .
- (٧) جمع شائبة وهي ما يعكر الصفو .
- (٨) كمنجم الذهب مثلاً .
- (٩) ذهب .
- (١٠) أرض .
- (١١) تراب .

قُلْ لِلَّهِ (١) جعلوا للشعر جائزة فيم الخلاف ؟ ألم يرشدكم الله ؟
 إنى فتحت لها صدرا تليق به إن لم تحلوه (٢) الرحمن حلّه
 لم أخش من أحد في الشعر يسبقني إلا فتى (٣) ماله في السبق إلاه
 ذاك الذي حكمت فيه يراعتة (٤) وأكرم الله والعباس (٥) مثواه (٦)

وهو في ذلك يعترف بسبق شوقي ، ويعرف جيدا أن من زملائه الشعراء
 في عصره من لمع واشتهر ، ومنهم : البارودي (١٢٥٥ هـ - ١٣٢٢ هـ) ،
 وإسماعيل صبرى (١٨٥٤ م - ١٩٢٣ م) ، وأحمد شوقي (١٨٦٨ م -
 ١٩٣٢ م) ، ومحمد عبد المطلب (١٨٧١ م - ١٩٣١) ، ومحمد الهراوي ،
 وأحمد محرم ، وخليل مطران (١٨٧١ - ١٩٤٩ م) ، وعبد الحليم المصرى ،
 وأحمد الكاشف ، وولّى الدين يكن ، وتوفيق البكرى .. وقد عاش مع كل
 منهم جزءا من حياته وسمعوا شعره ، وسمع أشعارهم . كما عاصر
 السياسيين والأدباء ، والزعماء : سعد زغلول ، والشيخ محمد عبده ، وعبد
 العزيز البشري ، وقاسم أمين ، وجورجى زيدان ، والمنفلوطى ، ويعقوب
 صروف ، ومن الفنانين : سيد درويش ، وصالح عبد الحى ، وعبد
 الحامولى ، وغيرهم .

شاعر الشعب :

نجد في جيل حافظ وشوقي من فضلوا الأول ، فضلوه لوطنيته ، وهذا
 حق ؛ فإذا قرأت شعر حافظ إبراهيم وجدت من موضوعاته وعناوينه كيف
 كان شاعر الشعب ، فشعره سجل لأحداث عصره ووطنه وماحدث بمصر ،
 وسعيها للحرية والتقدم ، وإشادة بزعماؤها ، وقادتها ، وشعرائها ، وثوارها ،

(١) للذين .

(٢) تحلوه .

(٣) أى : ليس له ، وهو أحمد شوقي .

(٤) قلمه .

(٥) الخديو عباس .

(٦) إقامته .

ونتيجة لما يمرّ به من مواقف نجد شعره يتنوع بين التفاؤل والتشاؤم ،
والصمت والشكوى .

وقد كانت وطنيته قوية تجعله يعيش المواقف والأحداث ، ويتابعها ،
ولعل في مقدمة ذلك شعره في حادث دنشواى حين اعتدى الاحتلال
الإنجليزى على تلك القرية الوداعة الآمنة فأشعل فيها النار ، فقامت ثورة
الفلاحين ، فحصدتهم بالرصاص . كما تمادى المستعمر فعقد المحاكمات
للمظلومين ، وحكم عليهم بالإعدام والسجن .
وطنية حافظ :

حين حدثت حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦م نشر حافظ قصيدته بعد
صدور الحكم بخمسة أيام مهاجماً الاحتلال الإنجليزى ، وناقداً الضعف
عند بعض المصريين .

ثم عاد لتصوير هول هذه الحادثة مرة أخرى حين استقبل الإنجليزى
اللورد كرومر ، وهاجم الاحتلال الإنجليزى مرة أخرى .

ثم عاد فى قصيدة ثالثة فى استقبال عميد الإنجليز بعد « كرومر » مدافعاً
عن مصر ، ومشيراً إلى آثار تلك الحادثة الحزينة ، وهذا ما يعبر عن قوة
عاطفته الوطنية ، وثورته على الاستعمار ، وحبّه لوطنه « مصر » .

وتتجلى وطنية حافظ إبراهيم بوضوح فى شعره ، ومن خلال مواقفه
الوطنية من الاستعمار الإنجليزى آنذاك ، ولذا نجده بعد حادثة دنشواى سنة
١٩٠٦ يخاطب الإنجليز والحكام متهمكاً بما صنعوه بأهل دنشواى المصريين
من الفلاحين ، البسطاء بل إنه سخر منهم ، أنهم إذا لم يستطيعوا صيد الحمام
أن يصيدوا البشر ، أى يقتلونهم ثم يؤنبهم على عدم فهم القضية فهما
صحيحاً ، ! ثم يذكرهم بياضى الاستعمار البغيض ، حيث « محاكم
التفتيش » فى إسبانيا باضطهاد المسلمين وظلمهم ، ومصادرة ممتلكاتهم بدون
وجه حق وبلا دفاع عنهم ، حتى أخرجوا المسلمين منها سنة ١٦٠٩ م . .
كما يذكرهم بنيرون الملك الرومانى الذى أحرق مدينة « روما » وأخذ يراقب
النيران وهى تلتهم المدينة سعيلاً مبتهجا . .

يقول حافظ إبراهيم في **حادثة دنشواي** (١) :

أَيُّهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا ! هَلْ نَسِيتُمْ وَلَدَنَا وَالْوَدَادَا ؟ (٢)
 حَقَّقُوا جَيْشَكُمْ وَنَامُوا هَنِيئًا وَابْتَغُوا صَيْدَكُمْ وَجُوثُوا الْبِلَادَا (٣)
 وَإِذَا أَعْوَزَتْكُمْ ذَاتُ طَوَقٍ بَيْنَ تِلْكَ الرِّبَا فَصِيدُوا الْعِبَادَا (٤)
 إِنَّمَا نَحْنُ وَالْحِمَامُ سَوَاءٌ لَمْ تُغَادِرْ أَطْوَقُنَا الْأَجْيَادَا (٥)
 لَا تَطْطُونَا بِنَا الْعُقُوقَ ، وَلَكِنْ أَرْضِدُونَا إِذَا ضَلَلْنَا الرِّشَادَا
 لِأَتَقِيدُوا مِنْ أُمِّةٍ بِقَتِيلٍ صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا (٦)
 جَاءَ جَهَالُنَا بِأَمْرِ ، وَجِئْتُمْ ضِعْفَ ضِعْفَيْهِ قَسْوَةً وَاشْتِدَادَا (٧)
 أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنْ ضَنْبَتْكُمْ بَعْفُو أَقْصَابَا أَرَدْتُمْ أَمْ كِيَادَا ؟
 أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنْ ضَنْبَتْكُمْ بَعْفُو أَنْفُسَا أَصَبْتُمْ أَمْ جَمَادَا ؟
 كَيْتَ شِعْرِي أَيْتَلِكَ (مُحْكَمَةُ النَّفْ نِيَشْ) عَادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُونْ) عَادَا ؟ (٨)
 كَيْفَ يَخْلُو مِنَ الْقَوِيِّ التَّشَقُّيْ مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا ؟

(١) نشرت في ٢ بولبية سنة ١٩٠٦ م .

(٢) الخطاب في هذا البيت : ربما بعده للإنجليز .

(٣) جاب البلاد : قطعها .

(٤) ذات الطوق : الحماة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها .

(٥) يريد « بالأطواق » في هذا البيت : أغلال الأسر والاستبعاد . والأجْيَاد : الأعناق ، الواحد جيد .

(٦) يقال : أَمَادَ الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله . ويشير بهذا البيت إلى ماقرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزي كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

(٧) يريد بجهالنا : شبابنا الصغار .

(٨) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم ، ثم إحراقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم ؛ وقد استغلت تلك المحاكم في اضطهاد العرب في أسبانيا في آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها في سنة ١٦٠٩ م . ونيرون - كما أشرنا - هو الملك الروماني المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد ؛ وعما ينسب إليه أنه أحرق مدينة روما ، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها فيسر بهذا المنظر كأنها ينظر إلى رواية تمثل في ملهى من الملاهى .

لَهَا مُثَلَّةٌ تَشْفُ عَنْ الْعَيْدِ ظَ وَلَسْنَا لِعَيْظِكُمْ أَنْدَادًا (١)
أَكْرَمُونَا بِأَرْضِنَا حَيْثُ كُنْتُمْ إِنَّمَا يُكْرِمُ الْجَوَادُ الْجَوَادَا
إِنَّ عَشْرِينَ حِجَّةً بَعْدَ خَمْسٍ عَلَّمْتَنَا الشُّكُونَ مَهْمَا تَعَادَى (٢)
أُمَّةَ النَّيْلِ أَكْبَرْتَ أَنْ تُعَادَى مَنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقْتَ أَنْ تُعَادَى (٣)
لَيْسَ فِيهَا إِلَّا كَلَامٌ ، وَإِلَّا حَسْرَةٌ بَعْدَ حَسْرَةٍ تَتَّهَادَى

وتبدو قمة وطنيته في حبه « مصر » وتباهيه بها ، وفخره بهاضيها وحاضرها وأمجادها ، في قصيدة جميلة تغنيها السيدة أم كلثوم ، أو تغني بعض أبياتها .

ويتجلى في هذه القصيدة حب حافظ لمصر ، وشعوره الصادق تجاهها ، وهذا واضح من قوة تأثيرها في نفس قارئها أو المستمع إليها ، كما يتضح من قوة عباراتها ، وجمال لفظها ، وتراكيبها ، وسعة الخيال فيها ، حتي يُشَبَّه مصر بأنها « تاج العلاء في مَفرق الشرق ، وأن تراجها تَبْرُ ، ونهرها فُرَات ، وسماها - كالسيف - لأمعة صافية » .

كما يتباهى بأهرامها ، وصمودها ، وشعبها وتاريخها ... وهي من أروع قصائده ، عنوانها « مصر » ، أو « مصر تتحدث عن نفسها » ، لأنه تخيلها تتحدث عن أمجادها .

وقد أنشدتها في الحفل الذي أقيم بفندق « الكونتنتال » لتكريم المرحوم عدلي يكن باشا بعد عودته من أوروبا قاطعاً المفاوضات مع الإنجليز ومستقيلاً من الوزارة ، وقد نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ م . وها هي ذي القصيدة :

(١) المثلة (بالضم) : التكيل . وتشف : تكشف وتبين . والأنداد : النظراء ، الواحد ند (بكسر النون) .

(٢) الحجة : السنة .

(٣) أشفقت : خشيت .

وَقَفَّ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا
وَبُنَاةُ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الذَّهْرِ
أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ
أَيُّ شَيْءٍ فِي الْغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّأ
فُتْرَابِي . تَبَرَّ ، وَنَهَرِي فُرَات
أَيْنَمَا سِرَتْ جَذُولٌ عِنْدَ كَرَمٍ
وَرَجَالِي لَوْ أَنْصَفُوهُمْ لَسَادُوا
لَوْ أَصَابُوا . لَهْمُ بَحَالًا لَا بُدَّوَا
لِمَتْنِهِمْ كَالظُّبَا أَلْحَ عَلَيْهَا
فَإِذَا صَيَّقُلُ الْقَضَاءِ جَلَاها
أَنَا إِنْ قَدَّرَ إِلَاهُ مَتَانِي
مَا رَمَانِي رَامَ وَدَاحٍ سَلِيمًا
كَمْ بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَيَّ وَجَارَتْ
لِإِنْسِي حُرَّةٌ كَسَرَتْ قُيُودِي

كَيْفَ أَبْنَى قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَخَدِي
سِرِّ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحَدِّي
قِ ، وَدُرَّتْهُ فَرَائِدُ عَفْدِي (١)
مَسَّ جَمَالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي ؟
وَسَمَائِي بِمَضْقُولَةٍ كَالْفَرْنِدِ (٢)
عِنْدَ زَهْرِ مُدَنَّرٍ عِنْدَ رَنْدٍ (٣)
مِنْ كُھُولٍ مِلءَ الْعَيُونِ وَمُرْدٍ (٤)
مُعْجِزَاتِ الذِّكَاكِ فِي كُلِّ قَصْدٍ
صَدَأَ الذَّهْرِ مِنْ ثَوَاءٍ وَغَمْدٍ (٥)
كُنَّ كَالْمَوْتِ مَالَهُ مِنْ مَرَدٍّ (٦)
لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي
مِنْ قَدِيمِ عُنَايَةِ اللَّهِ جُنْدِي
ثُمَّ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعَدِّي
رَغَمَ رُقْبَى الْعِدَا وَقَطَّعْتُ قُدِّي (٧)

(١) العلاء (بالفتح والمد) الرفعة والشرف . والمفرق (كمقعد وبجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر التي لا توأم لها لنفستها ، الواحدة فريدة . ويريد «بدراته» ممالك الشرق التي كان لمصر الزعامة عليها .

(٢) الفرات : العذب . الفرند : السيف .

(٣) مدرن : أى مختلف الألوان ؛ أو مشرق متألل . والرند : شجر طيب الرائحة ، وله حب يقال له : الغار .

(٤) ملء العيون : أى تعجبك مناظرهم . والمرد : جمع أمرد ، وهو الشاب نبت شاربه ولم تنبت لحيته .

(٥) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف والسنان ونحوهما . والثواء : طول المكث .

(٦) الصيقل : شاحذ السيوف وجاليها ، والجمع صياقل وصياقلة .

(٧) رقيبى العدا : أى مراقبتهم لى . . القد : القيد قد من جلد .

وَمَثَلْتُ لِلشُّفَاءِ وَقَدْ دَا
قُلْ لِمَنْ أَنْكَرُوا مَفَاخِرَ قَوْمِي
نَيْتُ حَيْنِي وَهَيَّا الْقَوْمَ لَحْدِي (١)
مَثَلْ مَا أَنْكَرُوا مَآثِرَ وَلَدِي :
هَلْ وَقَفْتُمْ بِقَمَّةِ الْهَرَمِ الْأَمْ
بِرِيَوْمَا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدِي ؟ (٢)

وقد مضى شعره يسجل أحداث مصر ، وكأنه يمزج بين شعره ودماء
قلبه حُبًا ووطنيةً ، ورغبةً في النهضة والتحرر ، كما يسمو بشعره إلى الوحدة
العربية وينادى بها بين الدول العربية .

تحية العام الهجري :

وفي قصيدته « تحية العام الهجري » نراه يمزج بين الناحية الوطنية والناحية
الإسلامية ، فنقرأ من شعره الإسلامي حديثه عن تحية العام الهجري (المحرم
سنة ١٣٢٧ — يناير ١٩٠٩) ، حيث يحكى قصة هجرة الرسول ﷺ ، تحفه
الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه السلام ، وبقلب الرسول ﷺ الإيمان
بالله ، وبصدره القرآن الكريم ، حيث هاجر من « مكة » إلى « يثرب » ، أو
المدينة المنورة ، كما يشير إلى أثر الإسلام ، وأثر الرسول ﷺ في العالم حتى
اليوم .

ثم ينتقل بعد هذا إلى موضوع آخر يتصل بشئون العالم الإسلامى وقت
ذاك في تركيا . وإيران ، ومراكش ، والجزائر والهند . . إلخ ، أى جولة على
العالم الإسلامى ونكتفى من القصيدة بالجزء الخاص بالهجرة ، فهيا نقرأ :

أَظَلَّ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقُ تَنْظُرُ
هَلَالٌ رَأَهُ الْمُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا
تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا
عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَتَاهَا تَتَكَرَّرُ (٣)
وَبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجِيبِيهِ
وُغُرَّتْهُ وَالنَّاطِرِينَ مُبَشِّرُ

(١) الحين (بالفتح) : الهلاك .

(٢) فرَيْتُمْ : أى فرأيتم .

(٣) تجلَّى : ظهر وتكشف .

وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمًا أَغْرَّ مُحَجَّلًا
 وَهَاجَرَ فِيهِ خَيْرٌ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى
 يُبَاشِيهِ جَبْرِيلَ وَتَسْعَى وَرَاءَهُ
 بَيِّنَاتُهُ بُرْهَانٌ مِنَ اللَّهِ سَاطِعٌ
 فَكَانَ عَلَى أَبْوَابِ (مَكَّةَ) رُكْبُهُ
 مَضَى الْعَامُ مَيِّمُونَ الشُّهُورَ مَبَارِكًا
 مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يَذْكُرُوا لَهُ
 وَإِنْ قِيلَ أَوْدَى بِالْأُلُوفِ أَجَابُهُمْ
 إِذَا قِيسَ إِحْسَانُ امْرِئٍ بِإِسَاءَةٍ
 فَفِيهِ أَفَاقُ النَّائِمُونَ وَقَدْ أَتَتْ
 وَفِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ

بِهِ تُوجَّعُ التَّارِيخُ وَالسَّعْدُ مُسْفَرٌ (١)
 يَحْفُفُ بِهِ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ عَسْكَرُ
 مَلَائِكَةٍ تَزْعَى خُطَاهُ وَتَخْفَرُ (٢)
 هُدًى ، وَيُيَمِّنَاهُ الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ
 وَفِي (يَثْرِبِ) أَنْوَارُهُ تَتَفَجَّرُ (٣)
 تُعَدِّدُ آثَارَ لَهُ وَتُسَطِّرُ
 هَنَاتٍ فَطَبَعُ الدَّهْرِ يَضْفُو وَيَكْدُرُ (٤)
 حَبِيبٌ : لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَائِينَ فَاَنْظُرُوا (٥)
 فَأَزْبَى عَلَيْهَا فَالْإِسَاءَةُ تُغْفَرُ (٦)
 عَلَيْهِمْ كَأَهْلُ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ أَعْمَرُ (٧)
 لَهُ أَكْرَبَ بَاقٍ وَذَكَرُ مُعَطَّرُ

مزج الوطنية بالناحية الإسلامية :

ثم يستطرد الشاعر في قصيدته مازجاً بين الناحية الإسلامية والوطنية ،

- (١) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهوراً ، وأصل هاتين الصفتين من النعوت المحمودة في الخيل ، والأغر منها : مآكان في جبهته بياض . والمحجل : مآكان البياض في قوائمه . والمسفر : المضىء الشرق . والمقصود بهذا اليوم يوم هجرة الرسول ﷺ وسلم من مكة إلى المدينة .
- (٢) يباشيه : يمشى معه . وتخفر : تخرس .
- (٣) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله ﷺ . وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء .
- (٤) الهنات : الهفوات اليسيرة التي تحتمل أمثالها .
- (٥) أودى بهم : أهلكهم .
- (٦) أربى : زاد .
- (٧) يشير بقوله «أفاق النائمون» إلى بعض الشعوب التي هبت في العام المتحدث به تطالب بحريتها ودستورها بعد أن سكنت على اللذل والاستعباد مدة طوية ؛ ومن هذه الشعوب : الشعب التركي والفارسي والمصري .

ولذا نراه في قصيدة أخرى قالها عقب الحرب العالمية الأولى ، واحتلال الحلفاء مدينة «أيا صوفيا» بتركيا ، يقول في آخر هذه القصيدة ، جامعاً الناحية الدينية والوطنية ؛ ومذكراً ببيت المقدس ، والبيت الحرام بـ المكرمة ، وبثر زمزم ، ويقصد معابد النصارى والمسلمين :

تَبَارَكْتَ ، (بَيْتَ الْقُدْسِ) جَذْلَانِ آمِنٌ
ولا يَأْمَنُ (الْبَيْتَ الْعَتِيقُ) الْمُحَرَّرُ
أَبْرِضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَهَابِكَ خَيْلَهُمْ
جِهَامَكَ وَأَنْ يُمْنَى (الْحَطِيمُ) (وَزَمَزَمُ)
وكيف يَذُلُّ الْمُسْلِمُونَ وَيَبْنَهُمْ
كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُحَرَّمُ
نَيْتُكَ مَحْزُونٌ ، وَيَنْتُكَ مُطْرَقٌ
حَيَاءً ، وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُومٌ
عَصَيْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا
وَحَكَّمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ يَرْوَحُ

الرثاء :

وقد برع حافظ في فنّ الرثاء ، أى : الحديث عن مآثر الموتى ومحاسن حتى قالوا : إن رثاءه كان يُذِيبُ قلوب مستمعيه ويبيكيهم ، ولذا قال نفسه ، وعن شعره :

إذا تصفّحت ديوانى لتقرأه
وجَدْتَ شِعْرَ المَرَاثَى نَصْفَ ديوانِ
وسرّ تفوقه في هذا الشعر أنه كان ينظر لمن يرثيه لاعلى أنه فرد من الأفرأ بل على أنه نموذج للسلوك والأخلاق والقيم ، وهكذا كانت نظرته للز:

(١) سَنَابِكُ الْخَيْلِ : أطراف حوافرها ، وَيُمْنَى : يُتْلَى ، وَالْحَطِيمُ : ما بين الركن وزمزم والمقام

(٢) كِتَابُكَ : القرآن الكريم .

(٣) نُومٌ : جمع نائمين .

والمصلحين ، فموت الإمام الشيخ محمد عبده ليس موت فرد عادي ، بل هو توقف صَوْت يدعو للإصلاح الاجتماعي ، والدفاع الديني ، والنهضة الوطنية . . كذلك الأمر بالنسبة للزعيم مصطفى كامل ، والزعيم سعد زغلول ، فموت كُلٍّ منهما موتٌ لصوت وطني مخلص غيور ، وينطبق هذا على الذين رثاهم حافظ كل حسب وضعه ودوره وطبيعة مهمته .

وقد ساعد على ذلك أن المجتمع كان يهتم بإقامة حفلات التأبين (١) مما شجع الشعراء على المشاركة فيها .

وهو في رثائه الزعيم مصطفى كامل يقول ثلاث قصائد ، الأولى ألقاها على قبر الفقيد ساعة دفنه ، والثانية في ذكرى الأربعين ، والثالثة بعد مرور عام على وفاته ، مما جعل الدارسين يعتبرونه « شاعر الوطنية الحقة » ، وجديراً بتلقيه بشاعر النيل .

يقول في رثاء مصطفى كامل :

أَوْ كَلَّمَا هَزَّ الرَّجَاءُ مُهَنَّدًا بَدَرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلَ الْأَقْدَارِ (٢)
عَزَّ الْقَرَارُ عَلَى لَيْلَةٍ نَعِيهِ وَشَهِدْتُ مَوْكِبَهُ فَقَرَّرَ قَرَارِي (٣)
وَتَسَابَقَتْ فِيهِ النُّعَاةُ فَطَائِرُ بِالْكَهْرِبَاءِ ، وَطَائِرُ بَيْخَارِ (٤)
شَاهَدْتُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَوْمَ وَفَاتِهِ وَعَلِمْتُ مِنْهُ مَرَاتِبَ الْأَقْدَارِ (٥)
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَفِي الشُّعُوبُ رَجَالَهَا حَقَّ الْوَلَاءِ وَوَجِبَ الْإِكْبَارِ

(١) رثاء الميت .

(٢) المهنت : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها ، أى : كلما ظهر ثورى مات .

(٣) يريد بقوله : « وشهدت » الخ : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد في جنازته هدأت نفسه .

(٤) يريد « بالطائر بالكهرباء » : الرسائل البرقية . « وبالطائر بالبخار » : القطار ، أى : الخطابات والصحف ، والنعاة : مبلغو خبر الوفاة .

(٥) وعلمت منه مراتب الأقدار : أى كيف تنزل الأمة عظماءها منازلهم التى يستحقونها - يوم الحشر : تشبيه للزحام بيوم القيامة .

- تَسْعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعِيشِكَ خُشَّعٌ
 خَطُّوا بِأَذْمُعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى
 أَنَا يُوَالُونَ الضَّجِيجَ كَأَنَّهُمْ
 وَتَحَاهُهم أَنَا لِفَرْطِ خُشُوعِهِمْ
 غَلَبَ الْخُشُوعُ عَلَيْهِمْ فَذُمُوعُهُمْ
 قَدْ كُنْتُ تَحْتَ ذُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ
 أَسْعَى ، فَيَأْخُذْنِي اللَّهَيْبُ فَأَنْتَنِي
 يَمْشُونَ تَحْتَ (لَوَائِكَ) السَّيَّارِ (١)
 لِلْحُزَنِ أَسْطَارًا عَلَى أَسْطَلَدِ (٢)
 رَكِبْتُ الْحَجِيجَ بِكَعْبَةِ الزَّوَارِ (٣)
 عِنْدَ الْمُصَلَّى يُنْصِتُونَ لِقَارِي (٤)
 نَجْرَى بِلا كَلَحٍ وَلَا اسْتِنْثَارِ (٥)
 مَا بَيْنَ سَيْلٍ دَافِقٍ وَشَرَارِ
 فَيَصُدُّنِي مُتَدَفِّقُ التَّيَّارِ (٦)

(١) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التي كان يصدرها الفقيد .

(٢) الثرى : الأرض ، والأسطار معروفة .

(٣) أَنَا : وقت .

(٤) قارى : قارىء .

(٥) بلا كَلَحٍ : أى بلا عبوس ولا تقطيب . والمسموع : كلاح وكلوح (بالضم فيها) . والاستنثار من

الأنف معروف . ويريد « بتجرى بلا كَلَحٍ ولا استنثار » : أن الدموع تجري بطبيعتها بلا عبوس ولا

غيره مما يصحب الدموع عادة .

(٦) يصور حركته بين تيار البُتْرِ وزحامه الشديد .

ويقول في رثاء محمد فريد بك (١) [في سنة ١٩١٩]:

مَنْ لِيَوْمِ نَحْنُ فِيهِ ؟ مَنْ لِنِغْدُ ؟ مات ذو العزْمة والرأى الأسدُ ! (٢)
 حَلَّ (بالجمعة) حُزْنٌ وَأَسَى ومَشَى الوجودُ إلى يومِ (الأحد) ! (٣)
 وبدأ شِعْرى على قِرطاسِه (٤) لَوْعَةً سَالَتْ على دَمْعِ جَمْدِ !
 أيُّها النِيلُ لقد جَلَّ الأَسَى كُنْ مِدَادًا (هـ) لى إذا الدَّمْعُ نَفَدَ (٦)
 وأذْبُلِي يازَهْرَةَ الرُّوضِ ! ولا تَسِمِي لِلطَّلِّ فالعَيْشُ نَكْدُ (٧)
 والزَّمِ النَّوْجَ أَيْنَا طَيْرُ ! ولا تَبْتَهِجْ بالشَّدْوِ فالشَّبْدُو حَدْدُ (٨)
 فلقد وَلَّى (فريدٌ) وأنطوى (رُكِنُ مصرٍ) وفَتَاها والسَّنْدُ
 خالدا الآثارِ ! لا تَحْشَ الْبَلَى ليس يَلَى مَنْ لَهْ ذِكْرٌ خَلَدَ (٨)

(١) المرحوم محمد بك فريد ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية ، ولد في مدينة القاهرة في رمضان سنة ١٢٨٤ هـ (يناير سنة ١٨٦٧ م) . وبيته من أكبر بيوت مصر وأجدها ، ونال شهادة الحقوق في مايو ١٨٨٧ م ، ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل إلى النيابة العمومية ، ثم إلى نيابة الاستئناف . وقد أنعم عليه بالرتبة الثانية في أغسطس سنة ١٨٩١ م . وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والأخلاقين بيد الوطنيين من الكتاب أصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيد اسمه في جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية في أول يونيو سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشغولا بالمحاماة سبع سنين ، ثم ترك كل عمل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للمرحوم مصطفى كامل باشا ، وقد صحبه في كثير من رحلاته إلى أوروبا . واختاره مصطفى كامل لرئاسة الحزب الوطنى في فبراير سنة ١٩٠٨ م ، وتوفى في برلين عاصمة ألمانيا في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ ، وأحضرت جثته إلى مصر ودفنت قرب مسجد السيدة نفيسة .

(٢) فريد « باليوم والغد » : الحاضر والمستقبل . والأسد : الأصوب .

(٣) الأسمى : الحزن . . وكنى « بيومى الجمعة والأحد » عن مسلمى مصر وقبطها .

(٤) قَرطاسِه .

(٥) حبر .

(٦) انتهى .

(٧) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه ، وتكد : حزين .

(٨) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذى لايجل أن يرتكب .

(٩) البلى : الفناء ، وخلد : بقى .

زُرْتُ (بَرْلِينَ) فَنَادَى سَمْتُهَا : نَزَلْتُ شَمْسُ الضُّحَى بُرْجَ الْأَسَدِ (١)
 وَاخْتَفَتْ شَمْسُكَ فِيهَا ، وَكَذَا تَحْتَفِي فِي الْغَرْبِ أَقْمَارُ الْأُبْدِ
 يَا غَرِيبَ الدَّارِ وَالْقَبْرِ ! وَيَا نَسْلَوَةَ (النَّيْلِ) إِذَا مَا الْخَطْبُ (٢) جَدَّ
 وَحُسَامًا فَلَّ حَسَدِيهِ الرَّدَى وَشَهَاةَا ضَاءَ وَهْنًا وَخَمَدَ (٣)
 قَل لَصَبِّ (النَّيْلِ) إِنْ لَا قَيْتَهُ فِي جَوَارِ الدَّائِمِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ (٤)
 إِنْ (مِصْرًا) لَا تَنْبِي عَنْ قَصْدِهَا رَغْمَ مَا تَلْقَى وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ
 جِئْتُ عَنْهَا أَجْمَلُ الْبُشْرَى إِلَى أَوَّلِ الْبَانِينَ فِي هَذَا الْبَلَدِ
 فَاسْتَرَحْ وَاهْنًا وَنَمْ فِي غِبْطَةٍ قَدْ بَدَّرْتَ الْحَبَّ وَالشَّعْبُ حَصَدَ
 آثَرَ (النَّيْلِ) عَلَى أَمْوَالِهِ قُدَّاهُ وَهَوَاهُ وَالْوَلَدُ (٥)
 يَطْلُبُ الْخَيْرَ (مِصْرَ) وَهُوَ فِي شَقْوَةٍ أَخْلَى مِنَ الْعَيْنِيشِ الرَّغْدِ (٦)

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما : أنه يريد وصف الفقيد بجلال الشأن ؛ فشبهه حين نزل برلين مدينة القوة بالشمس حين تنزل برج الأسد ؛ والثاني ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزل الشمس في برج الأسد دليل على وقوع الموت ؛ ويكون هذا البيت بالمعنى الثاني ترشيحاً للبيت الذي بعده .

(٢) الخطب : المشكلة والأمر الشديد .

(٣) فل حديده : ثلجهما . ، والردي : الموت ، وهنا : وقتاً . خمد : انطفأ .

(٤) صبب النيل : عاشقه . ويريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) .

(٥) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت إلى هجرة الفقيد إلى أوروبا في سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده .

(٦) العيش الرغد : العليب الواسع . ويشير بهذا البيت إلى ما تجمعه الفقيد في غربته من بؤس وشقاء ؛ وإشارته هذا البؤس على العودة إلى وطنه المحتل .

ويقول في رثاء باحثة البادية (١) [نشرت في سنة ١٩١٨م]:

فَالْخَلْقُ فِي الدُّنْيَا سِيرَ	(مَلَكٌ) النَّهْيُ (٢) لَا تَبْعِدِي
كَالرَّوْضِ أَرْجَهُ الرَّهْزِ (٣)	إِنِّي أَرَى لَكَ سِيرَةً
مَنْ فَعَّاشَ مَحْمُودَ الْأَنْزِ	رَبِّي أَبُولُ (٤) النَّاشِئِ
فِي النَّاشِئَاتِ مِنَ الصُّغُرِ	وَسَلَّكْتَ أَنْتِ سَبِيلَهُ
لِلْهَلَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالْخَفَرِ (٥)	رَبَّنِيهِنَّ عَلَى الْفَضِي
نَزَلَتْ بِهَا أَيْ السُّورِ (٦)	وَعَلَى اتِّبَاعِ شَرِيعَةٍ
أَحْيَاءٍ أُنْثَى أَوْ ذَكَرِ	فَلَبَّيْتِكُمْ فَضَّلَ عَلَى الدِّ
بِ وَدَّرُ (حَفْنِي) إِنْ تَنْزُرِ	لِلَّهِ دَرْكُ إِنْ تَنْزُرِ
فِي الْبَدْوِ عَاشَتْ وَالْخَضِرِ (٧)	قَدْ كُنْتَ زَوْجًا طَبَّةً

(١) باحثة البادية : هي السيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفنى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦م وتلقت مبادئ العلوم في مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٠٠م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم في مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت في سنة ١٩١٨م . وكانت من فضليات الكاتبات والباحثات ، بذلت جهداً كبيراً في الدعاية إلى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم قاسم أمين بك ، وكانت تفضل السفر على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها في كتاب سمته (النسائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها في إدارة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة ، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ في هذه القصيدة .

(٢) النَّهْيُ : العقل .

(٣) أَرْجَهُ : طيبه .

(٤) أبوها : الأديب حفنى ناصف ، كان مشهوراً بالنثر الأدبي .

(٥) الخفر : شدة الحياة .

(٦) القرآن الكريم .

(٧) يشير بقوله : « في البدو إلخ » ، إلى أنها كانت زوجاً لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم . والطبة : الماهرة الحاذقة بعملها .

سَادَتْ عَلَى أَهْلِ الْقُصُوفِ
غَرِيبَةً فِي عِلْمِهَا
شَرِيقَةً فِي طَبْعِهَا
بَيْنَا تَرَاهَا فِي الطُّرُوفِ
وَتُرِيكَ حِكْمَةً نَابِغَةً
فَإِذَا بِهَا فِي مَطْبَخِ
وَإِذَا بِهَا قَعَدَتْ تَحِيَّ
فَخَرَّتْ بِوَالِدِهَا ، وَوَا
بِالْعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَهَا
فَانْظُرْ شَمَائِلَ فِكْرِهَا
وَاقْرَأْ (مُحَاضَرَةَ الْجَرِيدِ
وَارْجِعْ إِلَى مَا أَوْدَعَتْ

ر ؛ وَسَوَدَتْ أَهْلَ الْوَبَرِ (١)
مَرْمُوقَةً بَيْنَ الْأَسْرَرِ
تَحْدُورَةً بَيْنَ الْحُجَرِ (٢)
بِسَ تَخُطُّ آيَاتِ الْعِبَرِ (٣)
عَرِكَ الْحَوَادِثَ وَاخْتَبَرِ
تَطْهَرُ الطَّعَامَ عَلَى قَدَرِ (٤)
طُ وَتَرْتَضِي وَخَزَ الْإِبَرِ
لِذْهَابِ حُلِيِّهَا افْتَخَرِ
لَا بِاللَّالِئِ وَاللُّدُرِ
بِالْهِ يَوْمَ (الْمَوْثَمَرِ) (٥)
سَدَّةً وَالْمَقَالَاتِ الْغُرَّةَ
عِنْدَ الْمَجَلَّاتِ الْكُبَرِ

(١) أهل الوبر : هم أهل البادية ؛ لأن بيوتهم من الوبر ، وأهل القصور : أهل المدن .

(٢) تحدورة : غير مكشوفة .

(٣) الطروس : الصحائف التي يكتب فيها .

(٤) على قدر : أى بحساب .

(٥) يريد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في سنة ١٩١١ م ، وتوالت جلساته خمسة أيام ؛ وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما : النظر في حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية . والثاني : الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمريهم المنعقد بأسبوط قبل ذلك في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامي المرحوم مصطفى رياض باشا ، وقد ألقت الفقيده محاضرة في هذا المؤتمر تتعلق بشئون المرأة .

ومن شعر حافظ في رثاء الشيخ على يوسف :

تالله ما جهلت فيه مُصِيبَتَهَا
ولا الَّذِي فَقَدْتُ مِنْ كَاتِبِ الْعَرَبِ (١)
لكنّها أَلِفْتُ - وَالْأَمْرُ يَحْزُبُهَا -
فَقَدَ الرِّجَالِ وَمَوْتَ السَّادَةِ النُّجَبِ (٢)
وَعَلِمَتَهَا اللَّيَالِي أَنَّ تُصَابِرَهَا
فِي الْحَادِثَاتِ وَإِنْ أَمَعَنَّ فِي الْحَرْبِ (٣)
كَمْ أَرْجَفُوا بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ وَارْتَقَبُوا
مَوْتَ (الْمُؤَيَّدِ) فِينَا شَرَّ مُرِّ تَقَبِّ (٤)
وإِنْ يَمُتْ تَمُتْ الْأَمَالُ فِي بَلَدِ
لَوْلَا (الْمُؤَيَّدِ) لَمْ يَنْسَطْ إِلَى طَلَبِ
صُبَابَةٍ مِنْ رَجَاءٍ بَيْنَ أَضْلَعِنَا
قَدْ بَاتَ يَرْشُفُ مِنْهَا كُلُّ مُغْتَصَبِ (٥)
أَلَمْ يَكُنْ لِيَنِي (مِصْرِي) وَقَدْ دَهْمُوا
مِنْ سَاسَةِ الْعَرَبِ مِثْلَ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ (٦)
كَمْ انْتَبَرَتْ فِيهِ أَقْلَامٌ وَكَمْ رُفِعَتْ
فِيهِ مَنَائِرُ مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ حُطَبِ

(١) تالله : والله .

(٢) حزية الأمر : اشتد عليه وضعفه ، السادة : جمع سيد ، نجب : جمع نجيب .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب ، تُصَابِرُهَا : تبادُلُهَا الصبر .

(٤) أَرْجَفَ الْقَوْمَ : خَاضُوا فِي الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ عَلَى أَنْ يَوْقِعُوا بَيْنَ النَّاسِ الْأَضْطِرَابَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِحَّ عَنْدهم شَيْءٌ .

(٥) الصبابة : البقية . إِنْ الْمُؤَيَّدُ بَقِيَ مِنْ رَجَاءٍ وَعِزَاءٍ يُلَوِّذُ بِهَا كُلَّ مَغْصُوبٍ الْحَقِّ .

(٦) الضمير في « يَكُنْ » لِلْمُؤَيَّدِ . وَالْمَعْقِلُ : الْحِصْنُ . وَالْأَشْبُ : الْمَتْنَعُ بِمَا حَوْلَهُ مِنَ السِّجَاحِ وَالسَّلَاحِ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : شَجَرُ أَشْبٍ ، أَيْ ذُو شَوْكٍ مُشْتَبِكٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِتَقْرِيرِ الْحُكْمِ وَالْوَاقِعِ .

وكان مِيدَانٌ سَبَقَ لِلْأَلَى (١) غَضِبُوا
لِلدِّينِ وَالْحَقِّ مِنْ دَاعٍ وَمُحْتَسِبِ
فَكَمْ يَرَاعِ حَكِيمٍ فِي مَشَارِعِهِ

قد التَقَى بِيرَاعِ الْكَاتِبِ الْأَرِبِ (٢)

كان حافظ قوى العاطفة في شعره ، وقد كان شعره ، على عكس مظهره الخارجى ، فقد كان - ظاهرياً - ضحكاً مرحاً يميل للسرور والمداعبات ، لكن أعماقه كانت مليئة بالحزن ، حتى لقد شبهه أحمد أمين في مقدمة ديوانه بأنه : « كالشمعة تضيء وهى تحترق ، أو كالممثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو فى نفسه يذوب خسرات » لذا كان نصف شعره رثاء .

وهو فى شعره الوصفى يجعلنا نتعرف عليه تعرفاً واضحاً ، كما يُطلعنا على بعض جوانب نفسه ، عندما يصف كساء له ، أو يتحدث عن نادٍ رياضى ، أو عن خزان أسوان حين أُسِّس . . كما يسجل فى قصيدة رائعة خواطره الصادقة بمناسبة حريق ميت غمر سنة ١٩٠٢ ، أو يتحدث عن اللغة العربية بعنوان « اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها » ، فى حفل ببعض المدارس الرائدة ، ومنه قصيدته الشهيرة فى مدرسة فى بورسعيد .

كما نتعرف من شعره على عصره وبعض أحداثه ، وما قام به ، من ذلك قصيدته عن رحلته إلى إيطاليا سنة ١٩٢٣ ، أو دعوته للإحسان ، أو تشجيع جمعية للعميان ، أو الاحتفال بإقامة ملجأ ، أو جمعية للطفل ، ومن أطرفها حديثه عن غلاء الأسعار ، أو الشكوى من الاحتلال الإنجليزى ، ومطلعها :

لقد كان فينا الظلمُ فوضى فُهِدْ بُثْ حواشيه حتى بات ظلماً منظماً

(١) للدين .

(٢) المشار : المناهل ، الواحد مشرع (يفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن ، يراع : قلم .

حيث يتهكم من الاستعمار ، فكأنه ثبت الظلم بتنظيمه . أو تشجيع مظاهرة نسائية قامت بها نساء مصر في الثورة الوطنية المصرية سنة ١٩١٩ ، وقد تأخر نشرها بالصحف ، فلم تنشر إلا سنة ١٩٢٩ ، وهى قصيدة جميلة . أو تأييده لمشروع إقامة جامعة مصرية ، ونشرت سنة ١٩٠٧ ، أو الاهتمام برعاية الأطفال .

في رعاية الأطفال :

وما هى ذى قصيدته في رعاية الأطفال التى أنشدتها في الحفل الذى أقامته هذه الجمعية في (الأوبرا) في ٨ أبريل سنة ١٩١٠ م :

سَبَحًا أَرَى أُمَ ذَاكَ طَيْفُ خَيَالٍ ؟

لا ، بَلْ فَتَاةٌ بِالْعَرَاءِ حَيَالِي (١)
أَمْسَتْ بِمَدْرَجَةِ الْخُطُوبِ فَمَا لَهَا

رَاغٌ هُنَاكَ وَمَا لَهَا مِنْ وَلِيٍّ (٢)
حَسْرَى ، تَكَادُ تُعِيدُ فَحْمَةً لَيْلِهَا

نَارًا بِأَنَاتِ ذَكَّيْنِ طَوَالِ (٣)
مَا خَطْبُهَا ، عَجَبًا ، وَمَا خَطْبِي بِهَا ؟

مَالِي أَشَاطِرُهَا الْوَجِيعَةَ مَالِي (٤)
دَانِيَتْهَا وَلِصَوْتِهَا فِي مَسْمَعِي

وَقَعُ النَّبَالُ عَطْفَنَ إِثْرٍ نِيَالِ (٥)

(١) العراء (بفتح العين) : الفضاء الذى لا يستتر فيه شيء ، يستفسر بتعجب عن يراها لضعفها وهزالها .

(٢) مدرجة الخطوب : أى طريق النوائب والمشاكل ، أى ليس لها ولى أمر .

(٣) ذكَيْن : أى توقدن واشتعلن ، وحسرى : حزينه ، فحمة ليلها : سواد ليلها .

(٤) ما خطبها : أى ما شأنها ، وأشاطرها : أشاركها .

(٥) عطفن : رجعن ، دانيتها : قربت منها ، إثر : بعد .

وسألتها : مَنْ أَنْتَ ؟ وهى كأنها
رَسَمٌ عَلَى طَلَلٍ مِنَ الْأَطْلَالِ (١)
فَتَمَلَمَلَتْ جَزَعًا وَقَالَتْ : حَامِلٌ
لَمْ تَذَرْ طَعْمَ الْغَمَضِ مُنْذُ لَيْالٍ
قَدْ مَاتَ وَالِدُهَا ، وَمَاتَتْ أُمُّهَا
وَمَضَى الْحِمَامُ بَعْمَهَا وَالْخَالِ (٢)
وإلى هُنَا حَبَسَ الْحَيَاءُ لِسَانَهَا
وَجَرَى الْبُكَاءُ بِدَمْعِهَا الْهَطَّالِ
فَعَلِمْتُ مَا تُخْفَى الْفَتَاةُ ، وَإِنَّمَا
يَجْنُو عَلَى أَثْمَالِهَا أَثْمَالِي

إسلام عمر :

وقد برع في الشعر الإسلامى ، وله قصيدة طويلة عن إسلام عمر بن
الخطاب يقول فيها :
رَأَيْتُ فَنَى الدِّينِ آرَاءَ مُوَفَّقَةٍ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ قُرْآنًا يُزَكِّيْهَا (١)
وَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحْبِهِ
عَيْنُ الْحَنِيفَةِ وَاجْتَارَتْ أَمَانِيهَا
قَدْ كُنْتُ أَغْدَى أَعَادِيهَا فَصُرْتُ لَهَا
بِنِعْمَةِ اللَّهِ حَصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا (٤)

(١) الرسم : أثر الدار بعد تحطمها . شبه هذه الفتاة برسوم الأطلال في التحول والفضالة .

(٢) الحمام : الموت يكسر الحمام .

(٣) يزكيها : يعزها ويؤيدها . ويشير بهذا البيت إلى ما كان من عمر -رضى الله عنه- حين كان يرى الرأى
فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيقاً وعشرين آية ، منها آية التحريم في الخمر لما قال : « اللهم
بين لنا في الخمر بياناً شافياً » . ومنها آية الاستئذان في الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان
نائماً ، فقال : « اللهم حرم الدخول » فنزلت آية الاستئذان الخ .

(٤) يشير الشاعر بهذا البيت إلى ما عُرف عن عمر من شدته على النبی والمسلمين قبل إسلامه ، ثم ما كان
منه بعد ذلك من إعزاز الإسلام بدخوله فيه .

- خَرَجْتَ تَبْغِي أَذَاهَا فِي (مُحَمَّدَا)
 (١) وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارٌ يُؤَالِيهَا
 فَلَمْ تَكْذُ تَسْمَعْ الْآيَاتِ بِالِغَةِ
 (٢) حَتَّى انْكَفَأَتْ تُنَاوِي مَنْ يُنَاوِيهَا
 سَمِعْتَ (سُورَةَ طه) مِنْ مُرْتَلِيهَا
 (٣) فَزَلَزْتُ نِيَّةً قَدْ كُنْتَ تُنَوِيهَا
 وَقُلْتُ فِيهَا مَقَالًا لَا يُطَاوِلُهُ
 (٤) قَوْلُ الْمُحِبِّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يُطْرِيهَا
 وَيَوْمَ اسْتَلَمْتَ عَزَّ الْحَقُّ وَارْتَفَعَتْ
 (٥) عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالُ يُعَانِيهَا
 وَصَاحَ فِيهِ (بِلَالٌ) صَبِيحَةَ خَشَعَتْ
 (٦) لَهَا الْقُلُوبُ وَلَبَّثَ أَمْرَ بَارِيهَا

(١) بوالبها : يناصرها ، وهو الله تعالى . ويشير الشاعر بهذا البيت والآيات بعده إلى السبب في إسلام عمر ، وذلك أنه خرج في يوم من الأيام بواصل أذاه للنبي ﷺ فلقى به نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد ، وعبره بذلك ، فرجع عمر إليهما غاضبا ، وكان عندهما خياب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئها لإياها ، فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختفى خياب ، ودخل عمر ، فعثر على الصحيفة وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه إلى الإسلام ، فقصده إلى النبي ﷺ وأسلم على يديه .

(٢) انكفا : رجع . وتناوى : تناوىء ، أى : تعادى .

(٣) يريد « بالنية » النية التى كان ينويها عمر قبل إسلامه من إلقاء رسول الله ﷺ .

(٤) لا يطاوله : لا يغالبه . وأطراه بطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه ، ومقال : قول .

(٥) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .

(٦) بلال : هو ابن رباح ، وكان مولى لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، اشتراه ثم أعنته ، وكان له خازنا ، ورسول الله ﷺ مؤذنا ، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى إظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفاً من المشركين ، وجهر بلال بالأذان ، باربها : أى باربها .

فَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الْمُخْتَارِ) مُنْجِدُهَا
وَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الصَّدِيقِ) مُنْجِيهَا (١)
كَمْ اسْتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ مُعْتَبِطًا
بِحِكْمَةٍ لَكَ عِنْدَ الرَّأْيِ يُلْفِيهَا (٢)

وعن عمر وبيعة أبي بكر يقول :

وَمَوْقِفٍ لَكَ بَعْدَ (الْمُصْطَفَى) افْتَرَقَتْ
فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا (٣)
بَايَعَتْ فِيهِ (أَبَا بَكْرٍ) فَبَايَعَهُ
عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
وَأُطْفِئَتْ فَتْنَةٌ لَوْلَاكَ لَاسْتَعْرَتْ
بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَانْسَابَتْ أَفَاعِيهَا (٤)
بَاتَ النَّبِيُّ مُسْجَى فِي حَظِيرَتِهِ
وَأَنْتَ مُسْتَعِرُّ الْأَحْشَاءِ دَامِيهَا (٥)
يَهِيْمُ بَيْنَ عَجِيجِ النَّاسِ فِي دَهْشٍ
مِنْ نَبَأَةٍ قَدْ سَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا (٦)

(١) يريد بالصديق : أبا بكر أول الخلفاء الراشدين . ويشير بالشطر الثاني من هذا البيت إلى الخلاف الذي سبق مبايعة أبي بكر ، وحسمه عمر يوم السقيفة ، ومناصرته لأبي بكر مدة خلافته ، ويشير الشاعر إلى ذلك بعد ، والمختار هو محمد ﷺ .

(٢) استراك : أصلها استرهك ، أى طلب رأيك ، يلفيها : يجدها .

(٣) يشير إلى اختلاف المسلمين في يوم السقيفة بعد موت النبي ﷺ ، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة في اختيار خليفة لهم ، وإلى فضل عمر يومها بلحه شعنتهم ، وإسراعه إلى مبايعة أبي بكر بالخلافة ، والمصطفى هو الرسول ﷺ .

(٤) استعرت : اتقدت ، أفاهى : تعابى .

(٥) سحى الميت : مد عليه ثوبه وغطاه به .

(٦) هام يميم : ذهب على وجهه لا يدري أين يذهب . والمجيج : الصباح ورفع

تَصِيحُ مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ

عَلَوْتْ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أَتْرِبَهَا (١)

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها :

كما اهتم باللغة العربية ، وقال القصيدة التى أشرنا إليها آنفاً ، وعنوانها :
« اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها » والتى نشرت فى سنة ١٩٠٣ م ،
ومنها :

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَيْتُ حَصَاتِي

وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسِبْتُ حَيَاتِي (٢)

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي

عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي (٣)

وَلَدْتُ وَلَنَا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي

رَجَالًا وَأَكْفَاءَ وَأَدْتُ بَنَاتِي (٤)

الصوت . والنبأ : الصوت الخفى . ويريد وفاة النبى ﷺ . ويشير بهذا البيت والأبيات الخمسة بعده إلى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبى ﷺ حتى إن عمر وقف بينهم يذّدهم بقطع رأس كل من يقول : « مات محمد » حتى جاءهم أبو بكر ، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ، فعادوا إلى صوابهم .

(١) الهامة : الرأس .

(٢) رجعت لنفسى : أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عدتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إننى عدت إلى نفسى وفكرت فيها آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بمقدرتى ، وكدت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجدهم منهم سميماً ، فادخرت حياتى عند الله .

(٣) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يميزنى قوهم . وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها .

(٤) يريد « بالعرائس » : الألفاظ المجلوة الحسنة . وواد البنت : دلنها حية ، أكفاء بسكون الكاف جمع كفاء .

- وسعتُ كتابَ الله لَفْظًا وغايةً
وما ضفقتُ عن أيِّ به وعظات (١)
فكيف أضيئُ اليومَ عن وَصَفِ آلَةٍ
وتَنسيقِ أسماءِ المُخترَعاتِ ؟
وأسمَعُ للكتابِ فى مَضَرِ ضَجَّةٍ
فأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي (٢)
أَيُّجُرَّتْنِي قَوْمِي - عَفَا اللهُ عَنْهُمْ -
إلى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةِ (٣)
سَرَتْ لَوْثَةُ الإِفْرَنْجِ فيها كما سَرَى
لُعَابُ الأَفَاعِي فى مَسِيلِ فُرَاتِ (٤)
فجاءتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُفْعَةً
مُشَكَّلَةَ الأَلْوَانِ مُتَخَلِّفَاتِ
إلى مَعَشَرِ الكُتَّابِ والجَمْعِ حافلٍ
بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَائِي (٥)
فإِذَا حَيَاةٌ تَبَعْتُ المَيِّتَ فى البَلَى
وَتُبِّتُ فى تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي (٦)
وإِذَا مَمَاتَتْ لا قِيَامَةَ بَعْدَهُ
مَمَاتٌ لِعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتِ (٧)

- (١) الأي : جمع آية . وكتاب الله : القرآن الكريم .
(٢) ضجة : صوت مرتفع ، نُعَاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت ، كآذٍ يغير بموت اللغة العربية .
(٣) أى : يتكوننى إلى لغة ضعيفة فيها عامية وألفاظ أجنبية .
(٤) لوثة بضم اللام عدم الإيابة ، ولعاب الأفاعى (الثعابين) : سمومها ، والفرات : الماء العذب .
(٥) الشكاة : الشكوى ، بسطت رجائى : عرضت أملى فى الحفاظ على اللغة العربية .
(٦) البلى : الموت ، تبعث : تُحْيى ، الرموس جمع رمس : القبور ، والرفات ما تكسر ويُفَنَّى ، أى : بقايا الميت .
(٧) قِيَامَةُ : تبعثُ وعودة للحياة . لم يقس بممات : ليس مثله موت آخر .

مدرسة البنات ببورسعيد :

وله قصيدة عنوانها مدرسة البنات ببورسعيد ، أنشدها في حفل أقيم
ببورسعيد في ١٩ مايو سنة ١٩١٠ م لإعانة تلك المدرسة :

كَمْ ذَا يَكَايِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي
إِنِّي لَأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً فِي حُبِّ مِضْرٍ كَثِيرَةِ الْعُشَاقِ
لَهْفَى عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكَ طَلِيقَةً يَا مِضْرُ قَدْ خَرَجْتَ عَنِ الْأَطْوَاقِ (١)
كَلَفْتُ بِمُحَمَّدٍ الْخِلَالَ مُتِّمِ كَرِيمٍ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقِي
إِنِّي لَتُطْرِئُنِي الْخِلَالَ كَرِيمَةً بِالْيَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ (٢)
وَتَهْزُنِي ذِكْرَى الْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وَتَلَاقِي (٣)
بَيْنَ الشَّمَائِلِ هِزَّةَ الْمُشْتَاقِ

الشكوى في شعره :

وقد كثرت الشكوى في شعره ، ومن ذلك قصائده :

إلى آدم أبي البشر ، وحسرة على ما فات .

وحين مرّ بدائر كان يقيم فيها وسط مزارع في الجيزة ، وقد قضى فيها
بعض أيام شبابه ، فلما مرّ بها تحركت الذكريات في نفسه حينئذ . كما كثرت
شعره الذي كتبه ، وهو في السودان ، متشوقاً لمصر ، شاكياً مما هو فيه .

(١) الأطواق : جمع طرق ، وهو الجهد والطاقة ، صبابه : حب

(٢) الكلف (بفتح الكاف وكسر اللام) : الشديد الحب للشئ ، والخلال الصفات ، مُتِّم : محب .

(٣) أَوْبَةٍ : عَوْدَةٌ ورجوع ، تَلَاقَى : لقاء .

وحين مرض ذات يوم فلم يَزُرُهُ أَحَدٌ أَنشد قائلاً :

مرضنا فما عادنا عائد ولا قيل أين الفتى الألعى (١)
ولا حَنّ طرسي إلى كاتب ولا خفّ لفظ على مَسْمَعِ (٢)
سكتنا فعز علينا السكوت وهان الكلام على المدعى

كما كان يهتم بالفقراء ، وعمل الخير ، وفي ذلك يقول :

إِنِّي أَرَى فُقَرَاءَكُمْ فِي حَاجَةٍ - لو تَعَلَّمُونَ - لِقَائِلِ فَعَالِ
فَتَسَابَقُوا الْخَيْرَاتِ فَهِيَ أَمَامَكُمْ مَيِّدَانُ سَبَقِ لِلْجَوَادِ النَّالِ (٣)
وَالْمُحْسِنُونَ لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ يَوْمَ الْإِثَابَةِ عَشْرَةُ الْأَمْثَالِ (٤)
وَجَزَاءُ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ عَدٍّ وَعَنْ وَزْنٍ وَعَنْ مَكْيَالِ (٥)

شعرة المسرحى :

حاول حافظ إبراهيم أن يكتب المسرحية الشعرية ، وهى مسرحية شعرية وطنية تسجل الموقف الخالد المتجدد بين الشعوب الضعيفة والاستعمار ، حيث يتصور وجود جريح من أهل (بيروت) هو وامراته ، مشيراً إلى حادث وقع سنة ١٩١٢ ، اعتدى فيه الإيطاليون على مدينة (بيروت) .

وهذه المحاولة المحدودة من الأدب التمثيلي تكاد تكون الوحيدة من شعر حافظ فى هذا الفن ، لأنه ليس شاعراً مسرحياً كما هو الحال عند أمير الشعراء أحمد شوقى ، الذى جمع بين القصيدة والمسرحية الشعرية .

(١) الألعى : الذكى ، عادنا عائد : زارنا زائر .

(٢) طرسي : الصحيفة . والمسمع : الأذن والسمع .

(٣) الجواد : الكريم ، والنال : كثير العطاء .

(٤) الإثابة : الجزاء ، يشيراً إلى قوله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ .

(٥) يجِلُّ : يكثر ويعظم ، ورب المحسنين : الله تعالى .

وهذا الجزء الذى اخترته لك يصور حوارًا بين الجريح العربى اللبنانى ، وزوجته ليلى . وقد وردت فى الديوان تحت عنوان ، منظومة تمثيلية قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت انتقامًا من الأتراك ؛ وذلك فى عهد نشوب الحرب الطرابلسية التى وقعت بين الإيطاليين والترك فى سنة ١٩١٢ م . وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت ، وزوج له اسمها (ليلى) ، وطبيب ، ورجل عربى .

الجريح :

يُرْجَى ولا أنا مَيْثُ
و (هَنا) قَدْ قَضَيْتُ (١)
لَا رُمَيْتُ رَمَيْتُ
مَشَى إِلَى مَشَيْتُ
لَدُسْتُهِ وَبَغَيْتُ
مُنَازَلْ مَا اتَّقَيْتُ
لَوْ بَانَ لى لاشْتَقَيْتُ (٢)
على الحياة بَكَيْتُ
مَنْ مَضَرَعَى إِنْ شَكَوْتُ (٣)
(بَيَّرْتُ) أَنَّى سَلَوْتُ (٤)
فيها وفيك صَبَوْتُ (٥)

(لَيْلَى) ما أنا حَى
لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلَادى
شَفَيْتُ نَفْسَى لَوْ أَنَّى
(بَيَّرْتُ) لَوْ أَنَّ خَصَمَا
أَوْ داسَ أَرْضِكَ باغ
أَوْ حَلَّ فِيكَ عَدُوُّ
لَكِنْ رَمَاكَ جَبَانُ
(لَيْلَى) لا تُحْسِنِى
ولا تَظْلُنِى شَكَاتِى
ولا يُخَيِّفَنَّكَ ذِكْرِى
(بَيَّرْتُ) مَهْدُ غَرَامِى

(١) قضيت : مت .

(٢) اشتفى : أخذ يثأره فشفى بذلك نفسه .

(٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) أى : لا تحشى ياليلى من سلوتى إياك حينها أذكر بيروت ، فكلاكما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين ذلك من الأبيات الآتية .

(٥) صبا : مال ، أى : إن شوقى وغرامى وميل فىك وفيها .

جَرَزْتُ ذَيْلَ شَبَابِي لَهَوًا وفيها جَرَيْتُ
 فِيهَا عَرَفْتُكَ طِفْلاً (١) وَمِنْ هَوَاكِ انْتَشَيْتُ
 وَمِنْ عُيُونِ رُبَاهَا وَعَذَّبَ فِيكَ ارْتَوَيْتُ (٢)
 فِيهَا (لَيْلَى) كِنَاسٌ وَلِيٍّ مِنَ الْعَزْ بَيْتُ (٣)
 فِيهَا بَنَى لِي مَجْدًا أَوَائِلِي وَبَتَّ بَيْتُ
 (لَيْلَى) ! سِرَاجُ حَيَاتِي خَبَا فَمَا فِيهِ زَيْتُ (٤)
 قَدْ أَطْفَأْتُهُ كُورَاتُ مَا مِنْ لَظَاهُنَّ قُوَّتُ (٥)
 رَمَى بَهْنٍ بَغَاةً أَصْبَنْتِي فَتَوَيْتُ (٦) ا

ليلى :

لَوْ تَقْتَدَى بِحَيَاتِي مَنْ الرَّدَى لَفَدَيْتُ ا
 وَلَوْ وَقَاكَ وَفَى بِمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ ا
 إِنْ عَشِيتَ أَوْ مِتْ إِنْئِي كَمَا نَوَيْتَ نَوَيْتُ (٧)

الجريح :

(لَيْلَى) عِيشِي وَقَرِّي إِذَا الْحِمَامُ دَعَانِي
 (لَيْلَى) سَاعَاتُ عُمْرِي مَعْدُودَةٌ بِالْثَوَانِي

(١) انتشيت : سكرت .

(٢) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب فيك ، أى هربك العذب .

(٣) الكناس : بيت الظبي الذى يأوى إليه .

(٤) خبا : خمد وطفئ .

(٥) يريد « بالكرات » قذائف المدافع المعروفة بالقنابل . واللظى : النار ، أو لهبها . والفوت : الانفلات .

(٦) تويت : أى هلكت ، والأصل فى الفعل توى كسر الواو ، وقد جاء فى هذا البيت مفتوح الواو على لغة طبيء .

(٧) كما نويت نويت : أى أنى جعلت حياتى وموتى تبعاً لحياتك وموتك .

فَكَفِّفِي مَنْ دُمُوعِ تَفْرِى حُشَاشَةً فَانِي (١)
وَمَهْدِي لِي قَبْرًا عَلَى ذُرَا (لُبْنَانِ)
ثُمَّ اكْتُبِي فَوْقَ لَوْحِ لِكُلِّ قَاصٍ وَدَانِي :
هَذَا الَّذِي مَاتَ غَدْرًا هُنَا فَكِي الْفَتِيَانِ

تقدير الأدباء له :

وتقديرًا لشعره ولمنزلته الشعرية أقام له بعض أدباء الغرب مأدبة لتكريمه هو ، وشوقي ، ومطران ، فقال سنة ١٩٢٨ :

قد قرأناكم فهشتُ هُنا (٢) فاقتبسنا نورًا يضيء السبيل
فاقرؤونا ومن لنا أن تصيوا بين أفكارنا شعاعاً ضئيلاً

وما زال الدراسون ومحبو الشعر يكرمون « حافظ إبراهيم » إلى أن لقي ربه سنة ١٩٣٢ . وبقي شعره حيًّا في ديوانه ، وفي أعماله الأدبية مثل : ترجمة البؤساء لفيلكتور هوجو . ومثل قصة : ليالى سطيح . رَجَمَ الله الفقيد وأدخله فسيح جناته جزاء ما قدَّم لبلده وأُمته .

(١) تفرى : تقطع . والحشاشة : بقية الروح في المريض .

(٢) هشت هُنا : انشروا عقولنا سرورًا .

المراجع

- ١ - إبراهيم المازنى ، شعر حافظ .
- ٢ - أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث فى مصر .
- ٣ - حافظ إبراهيم ، ليلالى سطيح .
- ٤ - ديوان حافظ إبراهيم .
- ٥ - ظه حسين ، حافظ وشوقى .
- ٦ - عباس محمود العقاد ، شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى .
- ٧ - عمر الدسوقي ، فى الأدب الحديث .
- ٨ - مجلة فصول - عددان خاصان عن حافظ وشوقى .
- ٩ - مقدمة ديوان حافظ لأحمد أمين .

مشاهير الشعراء العرب

للمثاقين والشباب

يسر الدار المصرية اللبنانية أن تقدم للشباب والمثاقين هذه المجموعة من

أعلام الشعر العربي ، الذين عاشوا في عصور وبيئات مختلفة ، وتركوا

لنا بصمات واضحة في مسيرة الشعر العربي . يقدم كل

كتاب من هذه السلسلة ترجمة موجزة وواقية للشاعر وعصره ،

والتيارات الأدبية التي أثرت في شعره ، كما يلقي الضوء على

جوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية ، مع الإلمام بسمات

كل شاعر والتعريف بالبيئة التي نشأ فيها ، والمدرسة

الشعرية التي يمثلها أو الاتجاه الشعري الذي ينسج

على منواله ، مع وضع نماذج ومختارات من شعره .

لقد تم اختيار هذه المجموعة من الشعراء المطبوعين المبدعين

على أيدي مجموعة من الكُتَّاب المتخصصين في هذا المجال

- وجدير بكل شاب أن يلم بحياتهم ، وشعرهم الجيد

الراقي الرفيع الذي يتغلغل

في النفوس ويهز

الوجدان .

2.786

09

نوف

ح

Bibliotheca Alexandrina



0261195

تصميم ورسوم

محمد حجي